صكوك الغفران لدى النصارى
دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

صكوك الغفران لدى النصارى
دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

د. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد المحسن التركي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

يتحدث البحث عن بدعة صكوك الغفران التي تصدرها الكنيسة الكاثوليكية، وقد بينت فيه تعريف هذه الصكوك وتاريخها وجذورها، وصلتها الوثيقة بما يسمى بسر الاعتراف، كما ذكرت أدلة النصارى على هذه البدعة ونقضتها، وبينت تناقض هذه البدعة مع أصولهم الأخرى، ورفض العقل لها، وأثرها السيئ، ورفض بعض النصارى لها، وثورتهم عليها.

كما تحدثت عن صفة المغفرة لله عز وجل وغفران الذنوب في الإسلام، وأوردت دعوة وجود صكوك غفران في الإسلام ونقضتها، وأتبعت البحث بملحق فيه نماذج لبعض هذه الصكوك وخاتمة وفهرس للمصادر.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله المبعوث رحمة إلى بني إسرائيل، ليكمل لهم دينهم، وليحل لهم بعض الذي حرم عليهم. والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى محمد، الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فإن الله – تبارك وتعالى – "أرسل الرسل في بني آدم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، كلما درست رسالة رسول وخفيت آثارها بعث رسولاً بتجديد الرسالة وإقامة الحجة، إلى أن وصلت النبوة إلى بني إسرائيل، فبعث الله فيهم عبده ورسوله الكريم ونجيه المقرب الكليم موسى بن عمران – عليه الصلاة والتسليم – وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذي أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار، فساسهم موسى – عليها السلام – بسياسة النبوة، وشرع لهم شرائع الدين، وحدّ لهم حدوده.

ثم كانت فيهم الأنبياء بعده تسوسهم بأحكام التوراة وشريعة موسى، ثم حدثت فيهم الأحداث، وتفرقوا في الدين، واتبعوا الأهواء، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وأفسدوا في الأرض، وتعدوا حدود الله، وغيّروا دينه، وقتلوا أنبياءه، فسلط عليهم الأعداء مرة بعد أخرى، فجاسوا خلال ديارهم، وتبرّوا[1] ما علو تتبيراً.

وفي كل ذلك يبعث الله فيهم الأنبياء، يجددون لهم ما درس من الدين، ويقيمون ما غيّروا، إلى أن كان آخر أنبيائهم عبد الله ورسوله وكلمته عيسى ابن مريم – عليهما السلام – فجدّد لهم الدين، وبيّن معالمه، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، والتبري من الإحداث والآراء الباطلة، فعادوه وكذبوه، ورموه بالعظائم، ورامو قتله وصلبه، فطهّره الله، ورفعه إليه، فلم يصلوا إليه بسوء.

فلما رُفع تفرق أتباعه بعده شيعاً، فمنهم من آمن بما بعثه الله به، وأنه عبد الله

---

(١) التتبير: الهلاك. القاموس المحيط للفيروزآبادي ص (٤٥٤) – تبر –. والمعنى: اهلكوا ودمّروا وخرّبوا ما ظهروا عليه من الديار. قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[الإسراء: ٧].

ورسوله، وابن أمته، ومنهم من غلا فيه وتجاوز به حد العبودية إلى منزلة الربوبية والإلهية، وقد حكى الله عنهم في كتابه ثلاث مقالات من الكفر، فقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾،[2] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[3][4].

ثم بعد نحو ثلثمائة سنة ظهر في النصرانية ملك يقال له: قسطنطين[5]، بدّل دين المسيح –عليه السلام–، وحرّفه وزاد فيه ونقص.

وزيادة في ترسيخ الفساد والضلالة عقد النصارى عدة مجامع[6]، تزيد على ثمانين مجمعاً، ثم تفرقوا على الاختلاف والتلاعن، وكان القول ببدعة الصلب في المجمع الأول، وفيه –كما سيأتي–: الإيمان بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وبكنيسة واحدة جامعة رسولية.

ولما ابتدع بعض النصارى في ذلك الوقت تأليه المسيح –عليه السلام–؛ فقد زعموا

---

(١) سورة المائدة: الآية (٧٢).

(٢) سورة المائدة: الآية (٧٣).

(٣)سورة التوبة: الآية (٣٠).

(٤) من كلام العلامة عبد العزيز بن حمد بن معمر، ت (١٢٤٤هـ)، من كتابه: "منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب" (١/١٤٧– ١٤٨).

(٥)سيأتي التعريف به.

(٦) المجامع عند النصارى: هيئات شورية في الكنيسة، تبحث في الأمور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس، وهي نوعان: مجامع محلية، وهي التي تبحث في الشؤون المحلية للكنائس التي تنعقد فيها، ومجامع مسكونية عالمية، تبحث في العقيدة النصرانية ومواجهة بعض الأقوال التي يرى غرابتها ومخالفتها للديانة، والمعني بها في هذا البحث النوع الثاني. ينظر: دراسات في الأديان د. سعود الخلف ص (٢٤٩)، والنصرانية، لعرفان عبد الحميد ص (٨٢)، ومحاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص (١٤٦– ١٤٧).

أن بيده غفران الذنوب، ثم هو فوّض وأناب بطرس[1] في سلطة الغفران للذنوب، ثم زعم النصارى أن التلاميذ ورجال الدين عندهم ورثوا هذه السلطة عن بطرس، فهم الذين يغفرون الذنوب، بمبدأ الاعتراف، ثم انتقلت الكنيسة من ذلك إلى أن جعلت لنفسها الحق في الغفران، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب، ثم أغرقت في المغالات فاتخذها رجال الدين باباً من أبواب الكسب للكنيسة، فأصدروا صكوكاً للغفران منحوا بموجبها لصاحبها محو سيئاته، وضمان النعيم في الدنيا والآخرة بمقابل مبلغ مادي يقدم للكنيسة، وكان اعتماد الكنيسة هذه البدعة – كما سيأتي – في المجمع المشهور سنة ١٢١٥م.

لقد "توجت الكنيسة تصرفاتها الشاذة وبدعها المضلة بمهزلة لم يعرف تاريخ الأديان لها مثيلاً، وحماقة يترفع عن ارتكابها من لديه مسكة من عقل أو ذرة من إيمان، تلك هي توزيع الجنة، وعرضها للبيع في مزاد علني، وكتابة وثائق للمشترين تتعهد الكنيسة فيها بأن تضمن للمشتري غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبراءته من كل جرم وخطيئة سابقة ولاحقة، ونجاته من عذاب المطهر، فإذا ما تسلم المشتري صك غفرانه ودسّه في محفظته، فقد أبيح له كل محظور، وحل له كل حرام"[2].

إن صفة الغفران لله تعالى وحده لا شريك له، ليست للمسيح –عليه السلام– ولا لنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، فضلاً عن أن تكون لرجال الدين.

والمسيح –عليه السلام– بريء من بدع النصارى فيه براءة الذئب من دم ابن يعقوب، "والنصارى الذين بدّلوا دين المسيح وكذبوا محمداً – صلى الله عليه وسلم – بريئون من دين المسيح، والمسيح بريء منهم، كبراءة موسى ممن بدل وغيّر دينه وكذب المسيح، والمسلمون أشد تعظيماً للمسيح –عليه السلام– واتباعاً له بالحق ممن بدل دينه وخالفه من النصارى، فإن المسلمين يصدقونه في كل ما أخبر به عن نفسه، ولا يحرفون ما قاله عن مواضعه، ولا يفسرون كلامه بغير مراده، وكلام غيره من الأنبياء، كما فعلت النصارى"[3].

---

(١)سيأتي التعريف به.

(٢) من كلام الشيخ سفر الحوالي، من كتابه: "العلمانية" ص (١١٠ – ١١١).

(٣) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، من كتابه: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" (٣/ ١٣٢ – ١٣٣).

ونظراً لأهمية دراسة بدعة صكوك الغفران، من ناحية تاريخها، وجذورها، وأدلة النصارى على مشروعيتها، ونقض ذلك، إضافة إلى المباحث العقدية المتعلقة بهذه القضية؛ رأيت من المناسب أن أبحث هذه المسألة ببحث عقدي، يكون عنوانه: صكوك الغفران لدى النصارى "دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية".

وفيما يلي أسباب بحث الموضوع:

١. أهمية بحث ودراسة الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة بشكل عام، حيث إن جل الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة في أطاريح الدراسات العليا وغيرها تتجه إلى دراسة مسائل الاعتقاد ونحو ذلك، وهذا لاشك في أهميته وفضل البحث فيه، ولكن أضحت الدراسات المتعلقة بقضايا الأديان والمذاهب المعاصرة شحيحة، وليس التوجه إليها كالتوجه إلى دراسة مسائل الاعتقاد.

ونحن – في حقيقة الأمر – في أمس الحاجة إلى متخصصين في علم مقارنة الأديان وعلم المذاهب المعاصرة، للرد على الشبه المثارة من قبل اليهود والنصارى، ولبيان تلاعبهم في أديانهم، ولرصد التيارات والتوجهات الفكرية المنحرفة ونقدها، وبيان سمو تعاليم الإسلام ووسطيته، وشموله للحياة بكافة مناحيها، وصلاحيته لكل زمان ومكان مما يسهم في الدعوة إلى الله تعالى، وحفظ دين المسلمين وأمنهم ومجتمعاتهم من الأفكار والتيارات المنحرفة.

٢. أهمية نقض ما يسمى بعقيدة الاعتراف لدى النصارى، وبيان صلة هذه العقيدة عندهم بصكوك الغفران التي هي موضوع النقد في هذا البحث.

٣. وجود بعض النصارى ومن تأثر بهم ممن ينتسب إلى المسلمين ويزعم وجود صكوك غفران في الإسلام، فينبغي نقض هذه الفرية، وبيان الحق في ذلك.

٤. أهمية بيان وبحث صفة الغفران في الإسلام، وإبراز تميز الإسلام بنظرته السامية إلى غفران الله وحده لا شريك له للذنوب، وعقد المقارنة بين ذلك وبين غلو النصارى في بدعهم المتعلقة بالغفران، وبيان كذبهم وافترائهم على عيسى –عليه السلام–.

٥. أنني لم أجد أحداً – على أهمية هذه القضية – تكلم في هذه المسألة ببحث

عقدي مختص بها، يعتني بجمع مباحثها ومن ثم نقدها في ضوء العقيدة الإسلامية.

٦. وجود مادة علمية جيدة من كتب المتقدمين والمتأخرين، سواء من كتب المسلمين أو من كتب النصارى، تُعين على بحث ودراسة هذه القضية.

وفيما يلي الخطة العامة للبحث.

يتكون البحث من مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وملحق، وفهرس للمصادر، وفهرس للموضوعات.

- **المقدمة**: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب بحثه، وخطة البحث، ومنهج البحث.
- **الفصل الأول**: المراد بصكوك الغفران، وتاريخها، وجذورها، وفيه مبحثان:
  - ❖ **المبحث الأول**: المراد بصكوك الغفران.
  - ❖ **المبحث الثاني**: تاريخ صكوك الغفران وجذورها.
- **الفصل الثاني**: نقض دعوى صكوك الغفران، وفيه ثلاثة مباحث:
  - ❖ **المبحث الأول**: أدلة النصارى على هذه البدعة، ونقضها.
  - ❖ **المبحث الثاني**: تناقض هذه البدعة مع أصولهم الأخرى، ورفض العقل لها، وأثرها السيئ.
  - ❖ **المبحث الثالث**: رفض بعض النصارى لهذه البدعة، وثورتهم عليها.
- **الفصل الثالث**: الغفران في الإسلام، وفيه مبحثان:
  - ❖ **المبحث الأول**: صفة المغفرة لله عز وجل، وغفران الذنوب في الإسلام.
  - ❖ **المبحث الثاني**: دعوى وجود صكوك غفران في الإسلام، ونقضها.
- **الخاتمة**: وفيها أبرز نتائج البحث.

وأتبعت البحث بملحق فيه صور لبعض الصكوك مع ترجمتها، وبعض الرسومات الخاصة عن الصكوك قديماً، وفهرس المصادر والموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، والتزمت – قدر المستطاع – بأصول البحث العلمي، كتخريج الآيات والأحاديث، والحكم عليها – إن كانت خارج

الصحيحين – والتعريف بالأعلام غير الصحابة –رضي الله عنهم–، والتوثيق للأقوال، والتعريف بالفرق، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

وما كان من صواب فمن الله عز وجل،– وهو المحمود على إحسانه وتوفيقه – وما كان من خطأ فمن نفسي المقصرة ومن الشيطان، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتجاوز عن تقصيري، وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

الفصل الأول

المراد بصكوك الغفران وتاريخها وجذورها

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** المراد بصكوك الغفران.
- **المبحث الثاني:** تاريخ صكوك الغفران وجذورها.

المبحث الأول:

المراد بصكوك الغفران

الصكوك جمع صك، وهو الكتاب، ويجمع على أصُك وصُكُوكٌ وصِكَاكٌ[1].

قال الأزهري[2]: والصك: الذي يكتب للعهدة، مُعرب، أصله جَكْ، ويجمع صكاكاً وصكوكاً، وكانت الأرزاق تسمى صكوكاً، لأنها تخرج مكتوبة[3].

وأما الغفران أو المغفرة، فلأصل هذه الكلمة في اللغة عدة معاني، والذي يهمنا هنا منها ما يتعلق ببحثنا، قال ابن منظور[4]: الغفور: الغفار جل ثناؤه، وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، يقال: اللهم اغفر لنا مغفرة وغفراً وغفراناً، وأنك أنت الغفور الغفار يا أهل المغفرة، وأصل الغَفْر: التغطية والستر، غفر الله ذنوبه أي سترها، والغَفْر الغُفْران، وفي الحديث: "كان إذا خرج من الخلاء قال: غفرانك"[5]، الغفران: مصدر، وهو منصوب بإضمار: أطلب... وقد غفره يغفره

---

(١) ينظر: القاموس المحيط ص (١٢٢٢) (صكك).

(٢) هو محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، العلامة اللغوي، أبو منصور الهروي الشافعي، ولد سنة (٢٨٢هـ)، وتوفي سنة (٣٧٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١٥/١٦)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٣٣٤/٤)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦٣/٣)، وشذرات الذهب، لابن العماد (٧٢/٣).

(٣) تهذيب اللغة (٤٢٨/٩)، وينظر: الصحاح للجوهري (١٥٩٦/٤)، وقصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل للمحبي (٢٣٠/٢ – ٢٣١)، ومجمل اللغة، لابن فارس (١ – ٥٣٠/٢).

(٤) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم، العلامة اللغوي جمال الدين أبو الفضل الأنصارى الإفريقي، ولد سنة (٦٣٠هـ)، وتوفي سنة (٧١١هـ). ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢٦٢/٤)، وفوات الوفيات للكتبي (٢٦٥/٢)، وحسن المحاضرة للسيوطي (٢١٩/١)، والشذرات (٢٦/٦).

(٥) أخرجه أبو داود في السنن عن عائشة –رضي الله عنها– (٣٠)، والترمذي في السنن (٧)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٩)، وفي الكبرى (٩٩٠٧)، وابن حبان كما في الإحسان لابن بلبان (١٤٤٤)، وأحمد في المسند (١٥٥/٦)، وابن أبي شيبة (٢/١)، والدارمي (٦٨٠)، وابن ماجه (٣٠٠)، والحاكم (١٥٨/١)، وصححه ووافقه الذهبي. والإسناد حسن كما قال شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند لأحمد

غفراً ستره، وكل شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس: مِغْفَر، وتقول العرب: اصبغ ثوبك بالسواد فهو أغفر لوسخه، أي أحمل له وأغطى له، ومنه غفر الله ذنوبه أي سترها... وكذلك غفر الشيب بالخضاب وأغفره... والغَفْر والمغفرة: التغطية على الذنوب، والعفو عنها، وتغافرا دعا كل واحد منهما لصاحبه بالمغفرة... والغُفْرة ما يُغطى به الشيء، وغفر الأمر بغفرته وغفيرته أصلحه بما ينبغي أن يصلح به، يقال: اغفروا هذا الأمر بغفرته وغفيرته، أي أصلحوه بما ينبغي أن يُصلَح، وما عندهم عذيرة ولا غفيرة، أي لا يعذرون ولا يغفرون ذنباً لأحد[1].

وقال الكفوي[2]: والغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري تعالى[3].

وسيأتي الكلام على صفة الغفران في الإسلام بمزيد تفصيل.

والمقصود هنا أن صكوك الغفران هي الإعفاء الكامل أو الجزيء من العقاب على الخطايا والتي تم العفو عنها، ويتم ضمان صكوك الغفران من الكنيسة، بعد أن يعترف الشخص الآثم، وبعد أن يتلقى الإبراء، وبعد أن يدفع المعترف للكنيسة مبلغاً مادياً يختلف تحديد مقداره باختلاف حجم ذنوبه.

فصكوك الغفران هي: وثائق يصدرها البابا تشهد على غفران الخطايا، سواء ما ارتكب منها بالفعل، أو تلك التي لم ترتكب بعد، وتصدر مقابل نقود أو امتيازات خاصة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وبرر رجال الدين صكوك الغفران فقالوا: إن الكنيسة الكاثوليكية الرومانية لديها رصيد من الأعمال الطيبة التي قام بها المسيح والعذراء مريم والقديسون، والتي يمكن

(١٢٤/٤٢)، وتحقيق الإحسان (٢٩١/٤)، وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود (٩/١)، رقم (٢٣)، وصحيح ابن ماجه (٥٥/١)، رقم (٢٤٤)، وإرواء الغليل (٥٢)، وتخريج المشكاة (٣٥٩).

(١) لسان العرب (٣٢٩/٦ – ٣٣٠)، وينظر: تهذيب اللغة (١٠٥/٨)، والعين للخليل بن أحمد (١٣٤٨/٢)، والقاموس المحيط، (غفر) (٥٧٩ – ٥٨٠).

(٢) هو أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، العلامة أبو البقاء الحنفي القاضي، توفي سنة (١٠٩٤هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (١٨٣/١)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٤١٨/١)، وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٣٣٠/٣)، ومقدمة الكليات لعدنان درويش، ومحمد المصري ص (٧).

(٣) الكليات ص (٦٦٦).

استخدامها للتكفير عن خطايا الناس[1].

قال د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: ومن أهم أعمال البابا: إصدار صكوك الغفران من الذنوب، ما مضى منها وما هو آتٍ، دون الحاجة إلى توبة أو رد المظالم إلى أهلها، فإذا أراد البابا أن يجمع مالاً لأمر من أمور الدين يطبع الصكوك، ويوزعها على أتباعه لبيعها كما تباع الأسهم في الشركات[2].

فهي صكوك يغفر فيها جميع الذنوب السابقة واللاحقة، وتخلّص صاحبها من جميع التبعات والحقوق التي في ذمته[3].

ويقسم بعض النصارى هذه الصكوك إلى قسمين:

الأول: صكوك الغفران للأحياء، وكان على كل من يريد الحصول على هذا الصك أن يندم على خطاياه، وأن يعترف بها أمام الكاهن، ثم ينفذ العقوبات المادية أو غيرها التي يفرضها عليه الكاهن بعد الاعتراف لكي يكفر عن ذنوبه المرتكبة.

الثاني: الصكوك للأموات، وهو الحصول على صك لتحرير الأنفس من العذاب، وكان يمكن الحصول على هذا الصك كتابة، وينص الصك على عدد السنين التي يريد الطالب أن يعفي منها النفس من العذاب، وكان لكل صك ثمن معين[4].

وصكوك الغفران – كما سيأتي – هي في حقيقة الأمر أحد الأسرار السبعة المقدسة عند النصارى – عدا طائفة البروتستانت[5] – وهو سر الاعتراف للقسيس مع

---

(١) المعجم العلمي للمعتقدات الدينية ص (٢٩٧)، ترجمة سعيد الفيشاوي.

(٢) اليهودية والمسيحية ص (٤٠١).

(٣) ينظر: تاريخ الكنيسة، للقس جون لوريمر (٤/ ٣٧ – ٣٩).

(٤) ينظر: المصلح مارتن لوثر، حياته وتعاليمه – بحث تاريخي عقائدي لاهوتي للقس حنا جرجس الخضري ص (٦٤ – ٦٥).

(٥) وهم المعارضون أو المحتجون على فساد الكنيسة الكاثوليكية، وهم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي في ألمانيا، وكان ينادي بإصلاح الكنيسة وتخليصها من الفساد الذي صار صبغة لها، وكانوا ينكرون صكوك الغفران، ويقررون أن الذنوب والخطايا لا تغفر إلا بالندم والتوبة، ويقولون: إن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل وقراءته، وليس وقفاً على الكنيسة، ويقولون بتحريم الصور والتماثيل ومنع الرهبنة، وغير ذلك من الأقوال. وهذه النحلة تنتشر في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوربا وأمريكا الشمالية. ينظر: دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية، د. سعود الخلف ص (٣٧٦)، ومحاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة ص (٢٠٤)، واليهودية والمسيحية ص (٤٠٧ – ٤١٠).

اختلاف في الشكل وطبيعة العوض المقدم، والغافر واحد وهو القسيس، والوسيلة نفسها وهي الاعتراف، على اختلاف في كون الاعتراف حالياً بالسر أمام القسيس، وبدون وثيقة مكتوبة، مع دفع بعض الرسوم عند بعض الكنائس، وهذا أقر بعد مجمع ترنت ١٥٥١م[١]، أما قبل ذلك فكان الاعتراف يحصل علناً، ويقبض بموجبه المعترف صكاً يفيد طهارته ومحو خطاياه.

ففي كلا الأمرين الغافر هو القسيس، وهناك العوض المادي، ودعوى الكاثوليك[٢]، أنهم لا يصدرون الصكوك الآن[٣] ما هي إلا تدليس وتمويه وتلاعب، فهم يقررون أن

---

(١) هو مجمع من أطول المجامع النصرانية، عقد بإيطاليا من سنة (١٥٤٥م) إلى (١٥٦٣م). حينما ارتفعت مئات الأصوات مطالبة= =بعقد مجمع عام حر لإصلاح الكنيسة، وسيأتي الكلام على بعض نتائج هذا المجمع فيما يخص عقيدة الاعتراف. ينظر: قصة الحضارة لديورانت (٢١/٣٠٠) و(٢٦/٤٥).

(٢) أصلها من "Katholikos"، اليونانية، بمعنى العام أو العالمي، أي أن الكاثوليكية، هي الديانة النصرانية العالمية، وينسب إلى هذه الفرقة عامة النصارى في الغرب، لذا تسمى كنيستها الغربية أو البطرسية، نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين، لأنهم يزعمون أنهم ورثة لبطرس، ويتبعون النظام البابوي، وأن البابا هو المشرع بعد عيسى –عليه السلام–، وجميع بابوات روما خلفاؤه، والبابا عندهم معصوم لا يصدر عنه الخطأ.

وتؤمن هذه الفرقة بأن روح القدس نشأ مع الله الأب والابن معاً، وبالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن، وبأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين لاهوتية وناسوتيه، ويعتقدون بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض يسمى المطهر، تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت في حياتها خطيئة حتى تنتقي من أوزارها وتصبح أهلاً للدخول في الفردوس السماوي، وهذه العقيدة ليس مصدرها الإنجيل، بل البابا غريغوريوس الكبير، في عام (٥٩٣م) كما يعتقدون بالأسرار السبعة. ينظر: اليهودية والمسيحية ص (٤٠٣)، ودراسات في الأديان ص (٣٧٤).

(٣) قال الأب د. يوأنس لحظي جيد: إن الكاثوليك يؤمنون حالياً أن من حق البابوات والأساقفة أن يعطوا غفراناً لمدة معينة لعوض خاص، ومنح هذه الغفرانات بناءً على قرارات سابقة لبعض البابوات، لكن بعض عقلاء الكاثوليك ينكرونها حالياً على اعتبار أنها فساد في التاريخ انتهى زمنه. ثم قال: إن الغفران يحظى حالياً بواسطة الكنيسة التي نالت من المسيح سلطان الحل والربط، فبقوة هذا السلطان تتوسط الكنيسة للمسيحي وتفتح له كنز استحقاقات المسيح والقديسين وتنال له منلدن أبي المراحم ترك العقوبات الزمنية الناجمة عن خطاياه، فالكنيسة الكاثوليكية لم تلغ إلى يومنا هذا الغفرانات، لأنها جزء من عطية المسيح لها: "يا بطرس أنت صخر، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي، فلن يقوى عليها سلطان الموت، وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الأرض رُبط في السماء، وما حللت في الأرض حُلَّ في السموات". وبالتالي فالغفران جزء من سر التوبة أحد الأسرار السبعة في الكنيسة. مقال للأب بعنوان: ما هي الاختلافات بين الأرثوذكسية والكاثوليكية، صكوك الغفران. من الإنترنت.

القسيس هو الغافر للذنب بموجب الاعتراف السري، ولم يبق ثمّ اختلاف إلا في كونه سرياً وفي الحصول على الوثيقة أو الصك، وهذان لا يغيرا من حقيقة الأمر شيئاً، ولا حاجة للمعترف للوثيقة نظراً لحصوله على الغفران بموجب قانون الكنيسة، وسواء اعترف في السر أم في العلن، أو حصل على الوثيقة أو لم يحصل[1].

ونظراً للارتباط الوثيق بين هذه الصكوك وبين سر الاعتراف، ودخوله تحت ما يسمى بالأسرار المقدسة، يحسن أن نلقي بعض الضوء – ولو بإيجاز – على معنى الأسرار السبعة المقدسة.

الأسرار المقدسة

من الأمور التي أحدثها بولس[2] في النصرانية واستعاض بها عن العبادات الشرعية مجموعة من الطقوس الوثنية يسميها النصارى: الأسرار الكنسية، ويعرفونها بأنها أعمال مقدسة تمنح بواسطتها بصورة غير منظورة نعمة الله التي تعيد وتجدد وتقدس الإنسان الذي يقبلها، ومصدر الأسرار إلهي، ويجب أن تتم بطرق معلومة محددة على أيدي أناس مفوضين بذلك[3].

---

(١) وهذا عند الكاثوليك وأما الأرثوذكس فهم يقرون مبدأ الاعتراف أمام الكاهن، على خلاف مع الكاثوليك في نظرتهم إلى الصكوك أو إلى طبيعة العوض لإسقاط الخطايا، فكثير من الأرثوذكس أنكروا الصكوك واعتبروها عاراً على النصرانية،= =ولكنهم – كما تقدم – مقرون بشرعية الاعتراف أمام القسيس، وكونه أحد الأسرار السبعة المقدسة. ينظر: أسرار الكنيسة، لحبيب جرجس (١٠٣)، وقصة الكنيسة القبطية لإيريس حبيب ص (٥٠٢).

(٢) هو يهودي متعصب فريسي اسمه شاول، ولم يكن من تلاميذ المسيح أو حوارييه، بل لم ير المسيح طوال حياته، وكان عدواً لدوداً للنصارى، ويضطهدهم، ثم إنه رأى أن يحتال لإسقاط النصرانية من الداخل، فادعى أنه تنصر، وأن المسيح كلمه وقال له: لم تضطهدني، ثم إنه أرسله لإبلاغ عقيدة التثليث للناس. ويعد هذا اليهودي من أعظم أسباب انحراف النصرانية، فقد نقلها من التوحيد إلى التثليث، ودعا إلى ألوهية المسيح وروح القدس، واخترع قصة الفداء والصلب للتكفير عن الخطيئة، وجعل التشريع للرؤساء الروحانيين بعد أن كان للأنبياء والرسل. هلك سنة (٦٧) أو (٦٨م)، ينظر: قاموس الكتاب المقدس (١٩٧)، والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف أيسندورس (٧٥/١)، واليهودية والمسيحية ص (٢٩٣)، والمسيحية والإسلام والاستشراق لمحمد فاروق الزين ص (١١٣)، والمسيحية لأحمد شلبي (١٠٥)، ورسالة ماجستير بعنوان أهم عوامل انحراف النصرانية، لإبراهيم بن خلف التركي ص (٧٠).

(٣) ينظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، لأفغراف سمير نوف (٨١ – ٨٢).

"ونستطيع أن نقول: إن الكنيسة تعمد إلى تبرير كل طقوس من طقوسها يأباه العقل، وتنفر منه النفوس بأنه سر إلهي، فكلمة "سر" كانت ثوباً فضفاضاً يستر كل نقائصها ومخازيها، وسلاحاً فورياً يقاوم كل اعتراض عليها"[1].

وينطوي مصطلح الأسرار السبعة عندهم على غموض شديد من حيث وجوه اشتقاقه، وهو راجع إلى الكلمة اللاتينية Sacrarer التي تدل على أفعال مكرسّة لخدمة الإله أو الآلهة، كرموز على الطاعة.

وهذه الأسرار السبعة هي: التعميد أو المعمودية، وعشاء الرب، وتكريس التعميد والتوبة، وطلب الغفران أو الاعتراف ورسامة الكهنوت المقدس، ونظام الزواج المقدس والمسح بدهن الزيت المقدس على المريض أو المشرف على الموت.

ويعتقد أتباع الكاثوليك والأرثوذكس[2] أن بعضاً من هذه الأسرار قد باشرها المسيح بنفسه[3]، أما البروتستانت فيحصر عامتهم الأسرار المقدسية في اثنين وهما: التعميد والعشاء الرباني، وينكرون ما سواهما بذريعة أن لا نص كتابياً عليها[4].

والاعتراف هو طلب الغفران والتكفير عن الخطيئة بالاعتراف أمام القسيس، ويلتحق به سر الصلاة على المحتضر لتحقيق الغفران أيضاً[5].

والاعتراف عندهم جزء من التوبة، ويقرنون بينهما قائلين: سر التوبة والاعتراف، والتوبة عندهم لا تتم إلا بالاعتراف بالذنوب والخطايا أمام القسيس في الكنيسة، ثم

---

(١) من كلام الشيخ سفر الحوالي، من كتاب (العلمانية) ص (٩٧).

(٢) هم أصحاب الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية، عام (١٠٥٤م)، ويقولون: إن الروح القدس انبثق عندهم من الآب فقط ويحرمون الطلاق إلا في حالة الزنا، فإنه يجوز عندهم بينما الكاثوليك يحرمونه نهائياً. ولا يجتمع الأرثوذكس على بابا واحد، بل كل كنيسة عندهم مستقلة بنفسها، وينتشرون في أوربا الشرقية وروسيا. ينظر: اليهودية والمسيحية ص (٤٠٦)، ودراسات في الأديان ص (٣٧٥).

(٣) ينظر: إنجيل متى (٨/١ – ٢)، (١٥/٣١)، (٨/٢٨ – ٢٩)، وإنجيل لوقا (٧/١ – ٣).

(٤) ينظر: النصرانية د. عرفان عبد الحميد ص (١١٤ – ١١٥)، وينظر في هذه الأسرار: تاريخ الكنيسة المسيحية (١٦١ – ١٦٦)، والمسيحية في العالم العربي للحسن بن طلال، (٤٥ – ٥٠)، والعلمانية للحوالي (٩٦).

(٥) ينظر: تاريخ الكنيسة المسيحية، (١٦٦)، والمسيحية في العالم العربي، (٥٠).

يمس هذا القسيس المعترف، فتغفر ذنوبه[1].

ومن أهمية الاعتراف عند علماء النصارى وقسيسيهم أن بعضهم يعده أحد أركان الدين النصراني[2].

والخلاصة: أن المذنب عند النصارى قديماً كان يأتي الكنيسة ويعترف للبابا بذنوبه وخطاياه، فيقوم البابا أو من ينوب عنه بإعطائه صكاً لغفران ذنوبه "ما تقدم منها وما تأخر، تغسله من ذنوبه الماضية، حتى يصير طاهراً، ثم لا يصير قابلاً لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس في المعاصي، كأن ذلك الصك جواز المرور إلى النعيم المقيم، لا يعوق حامله عائق، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس.. هذا ما كانت تحاول الكنيسة أن تلقيه في روع الناس تمكيناً لسلطانها، ورغبة في نقودهم التي يبذلونها للكنيسة في سبيل الحصول على ذلك الصك الذي يكون سر الأمان، وطريق الوصول إلى الغاية"[3].

وفيما يلي نص هذا الصك: "ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان، ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها، وأيضاً من جميع الإفراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة، ومن كل علة، وإن كانت محفوظة لابننا الأقدس البابا وللكرسي الرسولي، وأمحو جميع أقذار المذنب، وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة، وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة، وأقرنك في شركة القديسين، وأردك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى إنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى كل العذاب والعقاب، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتي ساعتك الأخيرة، باسم الآب والابن والروح

---

(١) ينظر: العبادة المسيحية للأرشمندريت إلياس، (٨٨ – ١١٥).

(٢) كما حكاه العلامة عبد الرحمن باجه جي زاده في كتابه "الفارق بين المخلوق والخالق" ص (١٤).

(٣) من كلام العلامة محمد أبو زهرة، في كتابه: "محاضرات في النصرانية" ص (٢١٠ – ٢١١).

القدس"[1].

المبحث الثاني:

تاريخ صكوك الغفران وجذورها

تعتبر عقيدة الخلاص هي الأساس الأول في الديانة النصرانية، فالمسيح عندهم وبزعمهم هو المخلص، نزل من السماء، وصلب ليخلص المؤمنين من وزر الخطيئة الأولى، التي تحملتها البشرية قروناً طويلة، فصلب المسيح – حسب افترائهم – لرفع هذه الخطيئة، وهو كفارة وفداء عن العقوبة التي وقعت على الجنس البشري كله[2].

واعتماداً على هذه العقيدة يتحول المؤمن النصراني عندهم بعد الفداء إلى حالة النقاء التي خلق عليها الإنسان الأول قبل السقوط، خالياً من الخطيئة سعيداً كما كان قبل.

ولكن إن نظرنا لهذا الأمر من منظور واقعي نجد أن الحياة النصرانية لم تتغير، فما زالت كما عرفها التاريخ تشوبها المكاره، ويعتريها الشقاء، وما زال النصراني مثقلاً بالمصائب، يشقى ويتعب، والشرور لم تزل تحيط بمجتمعات ترفع الصليب فوق رؤوسها.

وقد أثار هذا التناقض بين الواقع المر الذي يعيشه النصراني والعقيدة التي آمنوا بها سؤالاً ملحاً: لماذا صلب المسيح ومات ما دام ذلك لم يغير من واقع الحياة المر؟ وأين الخلاص الذي وعدوا به، وقد اعترف بذلك التناقض الكثير من باحثي النصارى، ومنهم القس إلياس مقار، قال: ولكن السؤال ما زال يتابعنا: بأي معنى يُخلِّص المسيح من الخطيئة؟ ومن الواضح إذا كان مخلصاً حقاً فلابد أن يخلص إلى التمام من جميع ما تطبعه أو تتركه الخطيئة في حياة الإنسان[3].

---

(١) ينظر: محاضرات في النصرانية، (٢١٠)، واليهودية والمسيحية، للأعظمي، (٤٠٢ – ٤٠٣)، والمسيحية، لشلبي، (٢١٤)، والعلمانية، للحوالي، (١١٤). وهناك صكوك أخرى بألفاظ أخرى، كما سيأتي في الملحق المرفق بآخر البحث.

(٢) ينظر: في هذه البدعة: إنجيل مرقس (١٠/٤٥)، ويوحنا (٣/١٦ – ١٧) و(١٠/١١)، ورسالة بولس إلى أهل كولوس (١/١٢ – ١٤)، ورسالته إلى أهل أفسس (٢/١٦)، وعلم اللاهوت النظامي لمجموعة من اللاهوتيين النصارى، (٧٥٦).

(٣) إيماني ص (٣٨٥).

وأمام تلك التناقضات انقسم النصارى إلى قسمين:

قسم حاولوا تطبيق تعاليم الكنيسة اعتقاداً منهم أنهم نالوا الخلاص بإيمانهم، منتظرين تغيير حالهم، تحقيقاً لوعد قدم لهم من رجال الكنيسة، ليفاجؤا بأن الشقاء ما زال ملازماً لهم، والمصائب تنهكهم بين الحين والآخر، الأمر الذي أصابهم بخيبة أمل شديدة، ودفعهم ذلك للابتعاد عن الكنيسة ورجالها، رافضين سلطانها وتعاليمها، فقد أثبتت التجربة الواقعية فساد أقوال رجالها وتعاليمهم.

والقسم الآخر اتبع هواه، وارتكب كافة المخازي غير آبه بالفضائل الأخلاقية التي نادت بها الأديان السماوية، اعتماداً منهم على الخلاص الذي وعدوا به من الكنيسة، فبإيمانه بعقيدة الخلاص يخلص لا بالأعمال، فالفاسق والصالح سواء، بإيمانهم بالمسيح الفادي، وهكذا ابتعد هذا القسم عن الكنيسة، فما الداعي للارتباط بها وتنفيذ تعاليمها ما دام النصراني قد نال الخلاص بإيمانه القلبي، لا بالأعمال.

وعن الاعتقاد بهذا الخلاص يتحدث بولس بقوله: بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كلٍ، وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله، متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار برّه في الزمان الحاضر، ليكون باراً ويُبرر من هو من الإيمان بيسوع[1].

فأين الافتخار؟ قد انتفى، بأي ناموس؟ أبناموس الأعمال؟ كلا: بل بناموس الإيمان.

إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس.

وهكذا أصبح المؤمن عند النصارى في موضع لا يحسد عليه، فما كاد يفرح بالخلاص المزعوم حتى اعتراه الأسى، فقد وقع فيما خلص منه، فها هي ذي خطاياه تضيق عليه الخناق، وهذا ما أرادت الكنيسة أن يحدث، فهي تريده مهزوماً ضعيفاً، لاجئاً إليها، يبحث عن النجاة والإجابة عن هذه القضايا التي يعجز العقل عن فهمها، فابن آدم بعد الفداء من الخطيئة الأصلية ما زالت عليه الخطايا الفعلية التي صدرت منه، فما السبيل للنجاة من هذه الخطايا إن كانت التوبة والأعمال لا تؤدي إليهما؟ لقد عمدت الكنيسة عند رؤية

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية (٣/٢٢ – ٢٧).

أتباعها وهم على هذه الحالة من الاضطراب أن قررت لهم أن مفتاح النجاة بأيدي رجالها، فهم الذين بإمكانهم غفران هذه الخطايا الفردية مقابل الاعتراف وأداء التعويض الذي يقرره رجال الدين.

ولتضفي على ذلك ثوب الشرعية أصدرت قانوناً بمنح هذه الصلاحية لرجل الدين، وهو الصادر عن المجمع (١٢)، المعروف بمجمع لاتيران، سنة ١٢١٥م[١].

ولكن رجال الكنيسة وعلى رأسهم البابا الرئيس الأعلى للكنيسة – حسب تعاليمهم الكاثوليكية[٢] – من ذرية آدم، فإذا غفرت خطيئتهم الأصلية بالفداء – كما يقرره علماؤهم – فما زالت خطاياهم الشخصية تلاحقهم أينما ذهبوا، فكيف يتسنى لمخطئ تبرئة مخطأ؟. وكيف يمنح الغفران من هو في حاجة إليه؟ ولتفادي هذه الاحتجاجات والاعتراضات أصدروا قراراً آخر يفيد عصمة البابا في المجمع العشرين، عام ١٨٦٩م[٣].

وهكذا أصبحت قرارات الكنيسة قرارات تتسم بالعصمة من الخطأ والضلال، فرأسها معصوم، وتستمد الكنيسة سلطتها وعصمتها من وعد المسيح لبطرس، وتفويضه للكنيسة[٤].

واستطاعت الكنيسة إرساء سلطاتها على أتباعها، فلابد لهم من طاعتها طاعة عمياء، فهي مؤسسة بأمر المسيح المعصوم، وقراراتها إلزامية، مما أهلّها غفران الخطايا لرعاياها بحسب ما ترى، وعلى المؤمن إن أراد الخلاص من خطاياه الشخصية التقدم لها مرة كل عام ليعترف ويتلقى أمرها بتنفيذ التعويض.

هذه لمحة موجزة حول الارتباط الوثيق بين عقيدة الخلاص وما يتعلق بصكوك

---

(١) ينظر: أضواء على المسيحية، لمتولي شلبي ص (١١٥)، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، لرؤوف شلبي ص (٢٤٧).

(٢) ينظر: معجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة بابا، ودائرة المعارف، لبطرس البستاني، (٥/٥).

(٣) ينظر: أضواء على المسيحية ص (١١٦)، والمسيحية الرابعة، لرؤوف شلبي ص (١٤٩)، والإسلام والمسيحية في الميزان، لشريف محمد هاشم ص (٤٤٠).

(٤) ينظر: إيماني – قضايا المسيحية الكبرى – ص (٤٧٩)، ومعجم اللاهوت الكاثوليكي، مادة كنيسة، وسيأتي ذكر النصوص من الأناجيل فيما يتعلق بدعوى تفويض المسيح لبطرس وتلاميذه سلطة الغفران.

الغفران – وسيأتي بيان تناقض هذه مع تلك في الفصل الخاص بنقض صكوك الغفران.

وينبغي أن نتحدث عن أصل الغفران عند النصارى، وكيف تطور وتغير إلى وضعه الحالي، فنقول: يعد التعميد "مفتاح الدخول في النصرانية، فمن لم يعمد فليس نصرانياً عندهم ولو كان من أبوين نصرانيين، ويمكن أن يعمد الشخص وهو طفل، أو في أي وقت من حياته، كما يمكن تعميده وهو على فراش الموت، ومرادهم بالتعميد أن يكون الإنسان طاهراً مبرءا من الذنوب.

وطريقته عندهم رش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، أو غمس الشخص كله في الماء"[1]، والمعمودية عندهم لأجل غفران الخطايا[2]، والقائم بالمعمودية عندهم هو الكاهن أو القسيس، وتتم داخل الكنيسة[3].

وقد اعتمد التعميد لمغفرة الخطايا في قرارات المجمع الأول عام ٣٢٥م، حيث قالوا: نؤمن.... وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا[4].

ويزعم النصارى – بناءً على قولهم بألوهية عيسى ابن مريم – أن المغفرة للخطايا من صفات عيسى –عليه السلام–، ويستدلون لذلك بنصوص كثيرة – وسيأتي عرضها ونقضها – ويزعمون أيضاً أن عيسى –عليه السلام– قد أورث سلطة الرحمة والعذاب والغفران لخليفته بطرس قائلاً له: وأنا أقول لك: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً

---

(١) من كلام د. سعود الخلف في كتابه دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية ص (٣٤٣)، وأحال فضيلته إلى: دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص (٥١)، وحقائق أساسية في الإيمان المسيحي للقس فايز فارس ص (٢٤٠)، وعلم اللاهوت النظامي، (١٠٧٤).

(٢) دستور الكنيسة الإنجيلية، فقرة (٣٠) ص (٢٩ – ٣٠)، والمعمودية بين المفهوم والممارسة، للقس مكرم نجيب ص (١٠٩).

(٣) ينظر: المعمودية بين المفهوم والممارسة ص (١٠٩ – ١٥٠).

(٤) ينظر: إيماني أو ما يسمى بقضايا المسيحية الكبرى لمقار، (٦٥ – ٦٦)، عند الكاثوليك. وعند الأرثوذكس: خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، (٩٩ – ١٠١). وينظر أيضاً: الملل والنحل للشهرستاني، (٢٢٤)، والجواب الصحيح، (٣٤٣/١)، وإغاثة اللهفان، لابن القيم، (٢٧٢/٢)، والبداية والنهاية، لابن كثير (٥٣٤/٢)، ومنحة القريب، لابن معمر (١٦٢/١).

في السموات[1].

"فهمت الكنيسة من هذا القول أن المسيح يعني أن السلطة الدينية المهيمنة باسمه سترتكز في الموضع الذي يموت فيه كبير الحواريين بطرس، ومن هذا المركز تمد أجنحة نفوذها على العالم أجمع، وتحكمه باسم المسيح، وبما أن بطرس – كما تقول الكنيسة – مات في رومة، فإن رومة هي قاعدة المسيح لحكم العالم، وفيها مقر الكنيسة التي يرأسها ممثل المسيح ورسوله "البابا" المعصوم من الخطأ، وكل ما تقرره الكنيسة هذه هو عين الصواب، إذ أن المسيح بواسطة الروح القدس هو الذي يملي عليها تصرفاتها، وما دام أنها تعمل باسم الله وتحل وتبرم حسب مشيئته، فطاعتها واجبة، وقراراتها إلزامية لكل المؤمنين بالمسيح، وليس على الأتباع إلا الطاعة العمياء، والانقياد الذي لا يعرف جدلاً أو نقاشاً"[2].

فيرون أن البابا خليفة لبطرس، قائم مقام المسيح، وقد ألقيت إليه مفاتيح ملكوت السموات، فهو راعي الرعاة ورأس الأجساد المسيحيين جمعاء[3].

وجاء في الإنجيل – في مخاطبة المسيح لتلاميذه –: فدنا منهم يسوع وقال لهم: نلت كل سلطان في السماء والأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن وروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر[4].

وجاء فيه أيضاً: من لم يسمع من الكنيسة فليكن كالوثني[5].

"لقد ورث الكهنة هذه السلطة الضخمة بل هذه القدرة الإلهية؛ قدرة التحليل والتحريم، والمنح والمنع، والثواب والعقاب، والقصاص والغفران"[6].

ويصرح أحد البابوات[7] بهذه الوراثة بقوله: إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل

---

(١) إنجيل متى (١٦/ ١٩).

(٢) من العلمانية للحوالي ص (٨٢).

(٣) ينظر: يسوع المسيح، لإلياس بولس، (١٦٦، ١٨٠، ١٨٣)، والديانات والعقائد، لعطار (٣/ ٥١٩).

(٤) إنجيل متى (٢٨/ ١٦– ٢٠).

(٥) إنجيل متى (١٨/ ١٨– ١٩).

(٦) من كتاب: "المسيح إنسان أم إله"، لمحمد مجدي مرجان ص (١٦١).

(٧) وهو البابا نيقولاوس الأول الكبير، تولى البابوية، سنة ٨٥٨م، ومات ٨٦٧م. ينظر: دائرة معارف المعلم

الرسول بطرس أول رئيس لها، وإن أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس في تسلسل مستمر متصل، ولذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاماً كانوا أو محكومين[1].

وإن من مفتريات بولس اليهودي وتلاعبه بالنصرانية إضافة إلى بدعته في القول بألوهية المسيح وصلبه وغير ذلك أن أضاف التشريع إلى الرؤساء الروحانيين عند النصارى بعد أن كان التشريع حقاً خالصاً للأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –[2].

بل إن مكانة رسل المسيح وحوارييه لتسمو على مكانة أنبياء العهد القديم، فإن أنبياء العهد القديم قد تلقوا وحياً وإعلاناً ورؤى لا بمعاينة ومباشرة الرب، أما الرسل فقد تلقوا التكليف من الإله نفسه مباشرة.

ويشير بولس إلى ذلك قائلاً: فإننا نتصرف برباطة جأش عظيمة لا كموسى الذي كان يضع قناعاً على وجهه[3].

وقد امتاز حواريو المسيح – حسب ما في كتب النصارى – عن أنبياء العهد القديم بمنحهم مغفرة الخطايا وإمساك الغفران، وبأن ما يربطونه في الأرض يربط في السماء، وما يحلونه يحل – كما تقدم – ولأجل ذلك حصل التلاعب في كثير من الديانة النصرانية، فألغيت الشريعة[4]، وعُطل الختان[5]، وحللوا لحم الخنزير[6]، فضلاً عن التلاعب في الأصول العقدية كما تقدم.

إن تقديس رجال الدين هو "الأساس الذي يبدو أن بدعة صكوك الغفران انبثقت عنه، وعن تقديس رجال الدين نشأت فكرة الاستشفاع بهم لدى الله لمغفرة الخطايا، وظل الجَهلة والسُذج يتوسلون إلى القساوسة راجين الشفاعة والتقرب إلى الله زلفى،

بطرس البستاني (٥/٧).

(١) ينظر: قصة الحضارة (١٤/٣٥٢).

(٢) ينظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي ص (٣٠٨).

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنتس (٣/١٢ – ١٣).

(٤) ينظر: أعمال الرسل (١٥/١ – ١١)، ورسالة بولس إلى رومة (٧/١ – ٦).

(٥) ينظر: الرسالة إلى غلاطية (٥/٦)، (٦/١٥)، والرسالة إلى قورنتس (٧/١٩)، وإلى رومة (٣/٢٩).

(٦) ينظر: أعمال الرسل (١١/١ – ١٠)، (١٠/٩ – ١٦)، والإحالات في الحواشي الأربعة الأخيرة، مستفادة من كتاب "المعتقدات الدينية لدى الغرب". د. عبد الراضي عبد المحسن ص (٢٢٢).

فنتج عن ذلك أن أصبحت وظيفة رجل الدين أينما كان هي التوسط بين الله وخلقه، فعن طريقه تؤدى الصلاة وهو الذي يقوم بالتعميد وبمراسم وطقوس الزواج والموت، ويتقبل الاعترافات من المذنبين"[1].

وكان من عقائد الكاثوليك وجود جحيم بمكان في قلب الأرض، يسمى المطهر، تحترق فيه الأنفس التي ارتكبت في حياتها خطايا حتى تنتقي من أوزارها وتصبح أهلاً للدخول في الفردوس، وهذه العقيدة ليس مصدرها الإنجيل بل هو البابا غريغوريوس الكبير[2]، في عام ٥٩٣م، وأن صلوات كهنة الكنيسة ترفع العذاب عن النفوس المتألمة، ومن هنا نشأت عقيدة الغفران، وهي أن ممثلي الكنيسة قادرون على تخليص الأرواح الهالكة في العذاب بالدعاء لها والصلاة عليها[3].

وسر الاعتراف بالخطايا كان في بادئ الأمر يتم في العلن[4] لا في الخفاء، كما آل إليه من بعد، وانطوى في المراحل الأولى من ممارسته على جملة أفعال مخصوصة وصور من المعاناة وإيذاء الذات ينبغي لطالب الغفران القيام بها كي تغفر له ذنوبه، مثل الصوم والاضطجاع على الرماد، وارتداء ما خشن من اللباس، وأخذ المذنب على نفسه ممارسة صور من التقشف والزهادة، أو دفع الصدقات مخافة أن يطرد من قداسة الكنيسة، وينبذ من جماعة المؤمنين، ويحكم عليه بالحرمان.

ثم جرت العادة أن يبوح المخطئ المذنب بذنوبه للقسيس في السر، الذي يُعلن بدوره من بعد الاعتراف التكفير عن الخطيئة، مع فرض غرامات معينة على طالب الغفران.

وفي مؤتمر لاتيران الرابع اتخذ هذا السر صورته الشرعية الملزمة، إذ صار لزاماً القيام به مرة في الحياة، وجرت العادة أحياناً أخرى أن يتم الغفران عن الخطايا عن طريق أداء الحج إلى الأراضي المقدسة – لديهم – أو المشاركة الطوعية في الحروب الصليبية، وقد

---

(١) من العلمانية ص (١١١ – ١١٢).

(٢) هو البابا غريغوريوس الأول الكبير، تولى البابوية، سنة (٥٩٠م)، ومات سنة (٦٠٤م). ينظر: دائرة معارف بطرس البستاني (٦/٥).

(٣) ينظر: اليهودية والمسيحية ص (٤٠٣).

(٤) ينظر: الديانات والعقائد (٢١٠/٣).

تضمن خطاب البابا أوربان الثاني[1] الذي ألقاه سنة ١٠٩٥م، الإعلان بأن المشاركة في الحروب الصليبية ضد المسلمين تعني الغفران الكامل من الذنوب، والخلاص الأبدي في الآخرة[2].

لقد أقر مجمع لاتيران المعقود سنة ١٢١٥م امتلاك الكنيسة حق الغفران للمذنبين، وذلك بإصدار القرار التالي: إن يسوع المسيح لما كان قد قلد الكنيسة سلطان منح الغفرانات، وقد استعملت الكنيسة هذا السلطان الذي نالته من العلا منذ الأيام الأولى، فقد أعلم المجمع المقدس وأمر أن تحفظ للكنيسة في الكنيسة هذه العملية الخلاصية للشعب المسيحي، والمثبتة بسلطان المجامع، ثم ضرب بسيف الحرمان من يزعمون أن الغفرانات غير مفيدة، أو ينكرون على الكنيسة سلطان منحها، غير أنه قد رغب في أن يستعمل هذا السلطان باعتدال واحتراز حسب العادة المحفوظة قديماً والمثبتة في الكنيسة، لئلا يمس التهذيب الكنسي تراخٍ بفرط التساهل[3].

وقد فرض المجمع على كل المسيحيين الاعتراف مرة كل عام أمام القسيس للحصول على الغفران[4]، وتنفيذاً لذلك أخذ الناس في التوافد على الكنيسة طلباً للمغفرة، ويقدمون للقساوسة الهدايا والصدقات، فارتفع مركز الكنيسة معنوياً ومادياً.

وبعد فترة من الزمن أخذ هذا التوافد في الفتور، وتقاعس كثيرون عن الاعتراف، وفي الوقت نفسه ازداد إلحاح الكنيسة على تثبيت مركزها وتعبئة خزائنها، فقررت وسيلة ناجحة لضمان استمرار ذلك، فهداها تفكيرها إلى كتابة الغفرانات في صكوك تباع على الملأ، وتنص على غفران أبدي بحيث تكون حافزاً قوياً على دفع المبلغ المالي

---

(١) هو البابا أوربانوس الثاني، تولى البابوية، سنة ١٠٨٨م، ومات سنة ١٠٩٩م، ينظر: دائرة معارف البستاني (٧/٥).

(٢) ينظر: النصرانية لعرفان عبد الحميد، (١٢٤– ١٢٥)، ودراسات في الفكر الإسلامي له ص (١٠٨)، والديانات والعقائد (٢١٣/٣)، وحضارة أوربا في العصور الوسطى، لمحمود عمران ص (٣١٨)، وماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم (١٠٣– ١٠٦).

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية (٢٠٩)، والأسفار السابقة على الإسلام، د. علي عبد الواحد وافي (١٢٣)، ومذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب (٦٣)، واليهودية والمسيحية (٤٠٢).

(٤) ينظر: تاريخ العالم، جمع هامرتن (٥٠٢/٥).

الذي تقرره الكنيسة[1].

قال الشيخ محمد أبو زهرة[2] – بعد ذكره قرار المجمع بامتلاك الكنيسة هذا الحق هذا قرار المجمع، وفيه تمكين للكنيسة من سلطان قوي جبار، وهو سلطان مسح الذنوب، وغفرانها مهما يكن مقدارها، ومهما تكن قد دنست النفس، وأركست القلب، ولكنه قد أوصى الكنيسة بالاعتدال والاحتراس، حتى لا يؤدي الإفراط في منح الغفران إلى ترك التهذيب الديني، وهجر تعاليم الكنيسة، والعبث بهدى الدين، فهل أخذت الكنيسة بما أعطاها المجمع، وراعت حق الرعاية ما أوصاها به من عدم الإفراط في الإعطاء والمنح؟ لقد أتى حين من الدهر من بعد ما أعطى رجال الدين أنفسهم ذلك الحق أن أفرطوا في إعطائه إفراطاً شديداً، وأنشأوا له صكوكاً تباع وتشترى، فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا، ومتعة من متعها، وبذل العصاة في سبيلها المال، وما كان عليهم من حرج في أن يرتكبوا ما شاءوا من الموبقات، وينالوا ما تهوى الأنفس من معاصي، ما دام ذلك يفتدى بمال قل أو جل[3].

وكان بعض القسيسين يقول – عند بيع هذه الصكوك –: في نفس اللحظة التي ترن فيها دراهمكم في الصندوق تخرج النفس مطهرة حرة منطلقة إلى السماء[4].

وبلغ من وقاحة هذا القسيس أن قال: إن من ارتكب الخطيئة مع العذراء نفسها، فإن هذه الصكوك تمنحه الغفران الكامل[5].

قال الأستاذ محمد قطب: ولئن استمر البسطاء مخدوعين في قداسة البابا وقدرته على محو الذنوب من صحيفة الأعمال بماله عند الله من الوساطة والحظوة والقداسة، فقد انكشف الأمر عند العقلاء، ولاشك عن أن قداسة البابا قد أصبح تاجراً كبيراً، وأنه على نسق معظم التجار الكبار مدلس غشاش، يبيع بضاعة لا يملكها، ويقبض الثمن

---

(١) ينظر: العلمانية للحوالي (١١٣).

(٢) هو محمد بن أحمد أبو زهرة، من علماء مصر، ولد سنة ١٣١٦هـ، وتوفي سنة ١٣٩٤هـ. بالقاهرة، ينظر: الأعلام (٦/ ٢٥)، ومعجم المؤلفين (٣/ ٤٣).

(٣) محاضرات في النصرانية ص (٢٠٩ – ٢١٠).

(٤) ينظر: المصلح مارتن لوثر، للقس حنا جرجس ص (٦٤)، واسم القسيس هوحنا تتزل.

(٥) ينظر: أصول التاريخ الأوربي الحديث ص (٩٩).

لنفسه، ليثرى الثراء الفاحش، ثم ينفق هذا الكسب الحرام في المتاع الدنس ويغرق به في الشهوات.

ومع أنها مهزلة مضحكة ومكشوفة، فقد ظلت قائمة في المجتمع الأوربي – مجتمع الظلمات – فترة غير قصيرة من الوقت، واتسع نطاقها وكثرت أرباحها حتى فاضت عن مطامع قداسة البابا، فتنازل عن شيء من الفائض لكبار أعوانه، فصرح لهم بإصدار صكوك لحسابهم، استرضاءً لهم واستعانة منه بهم في جلائل الأعمال.

ولكنها كانت لابد مؤدية إلى نتائجها الطبيعية، وهي النفور من الدين في النهاية والنفور من رجال الدين[1].

والخلاصة مما تقدم "أن الكنيسة ابتدأت صك الغفران بمسألة الاعتراف بالذنوب عند الموت والتوبة، ثم تولى القسيس مسح هذه الذنوب والشخص لم يودع الدنيا، ثم انتقلت من ذلك إلى أن جعلت لنفسها الحق في الغفران والشخص قوي يستقبل الحياة ولا يودعها ويقبل عليها ولا يدبر عنها، وغالت فجعلت لنفسها غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب، ثم أغرقت في المغالات فاتخذها رجال الدين باباً من أبواب الكسب للكنيسة"[2].

وقد كانت هذه البدعة مثار نقمة مارتن لوثر زعيم البروتستانت – كما سيأتي – الأمر الذي أدى إلى الثورة على بعض تعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

وفي المجمع المشهور بمجمع ترنت المعقود من عام ١٥٤٢م – ١٥٦٣م، أقرت الكنيسة الكاثوليكية عقيدة الاعتراف، ولعنت طائفة البروتستانت[3].

فمما يتعلق بالاعتراف: جاء في محاضر جلسات هذا المجمع (الجلسة ١٤ في ٢٥ تشرين الثاني ١٥٥١م: الفصل (٥)، فقرة ١٦٧٩: الاعتراف: إن الاعتراف الكامل بالخطايا هو من وضع الرب، وترك يسوع الكهنة ليقوموا مقامه على أنهم رؤساء محكمة وقضاة تحال إليهم جميع الخطايا المميتة بقوة سلطان المفاتيح الحكم الذي يغفر أو يمسك

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص (٦٥ – ٦٦).

(٢) من كلام العلامة محمد أبو زهرة من "محاضرات في النصرانية" ص (٢١١).

(٣) ينظر: محاضرات في النصرانية (١٨١)، وأوربا في العصور الحديثة، د. جلال يحيى ص (٤٥٩)، ودراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، د. عمر عبد العزيز ص (١٩٥).

الخطايا. فقرة (١٦٨٠): فعلى المعترفين أن يعترفوا بجميع الخطايا الخفية جداً، وأما في شأن الاعتراف السري أمام كاهن، فالمسيح لم يمنع أن يعترف الإنسان بخطاياه علانية عقاباً للخطايا... إلا أن هذا المبدأ لم يصدر عن وصية إلهية، ولا يكون من الفطنة أن يقر شرع بشري وجوب الكشف عن الخطايا باعتراف علني ولا سيما الخطايا السرية.

وأقدم الآباء وأشدهم قداسة أجمعوا على التحريض دائماً على الاعتراف السري غير العلني الذي مارسته الكنيسة منذ البدء، وما زالت تمارسه الآن، وهكذا فباطلة ومردودة الافتراءات الكاذبة التي يطلقها أولئك الذين يتجرأون ويعلنون أن هذا الاعتراف غريب عن وصية الله، وأنه اختراع بشري ابتدأ مع الآباء المحترمين في المجمع اللاتيراني الرابع.

فالكنيسة لم ترسم في المجمع اللاتيراني أن يعترف المسيحيون، كانت قد أدركت أن ذلك كان ضرورياً وأنه من وضع إلهي، ولكنها رسمت أن يجري الاعتراف مرة في السنة على الأقل، يقوم به جميع من أدركوا سن الرشد، ومن هنا كان التقيد بعادة الاعتراف العادة الجزيلة الفائدة للنفوس التي يؤيدها هذا المجمع المقدس تأييداً شديداً، ويتبناها على أنها ثقة، وأنه من الواجب المحافظة عليها[١].

وجاء في أحد بنود هذا المجمع: إن كل من يرفض قبول سر الاعتراف باعتباره وصية إلهية وضرورية للخلاص أو من يصرح أن ممارسة الاعتراف السري للكاهن وحده، كما حفظته وتحفظه الكنيسة الكاثوليكية، هو غريب عن مؤسسة المسيح وأوامره، وبأنه ابتداع بشري، لتحل عليه اللعنة[٢].

وإن من عقائد الكاثوليك حالياً ويوافقهم كثير من الأرثوذكس: عقيدة الاعتراف – كما تقدم – وهذه القضية قد قررتها الرسائل الكاثوليكية المعتمدة حالياً لديهم.

ومنها ما في رسالة يعقوب[٣]: أمريض أحد بينكم؟ فليدع شيوخ الكنيسة فيصلوا

---

(١) مختارات من أهم وثائق الكنيسة الكاثوليكية عبر التاريخ، القانون (٦، ٨، ٨٠، ٨١٢)، الموسوعة العربية المسيحية – الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسغر هوزمان، سلسلة الفكر المسيحي من الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

(٢) البند (٦) من بنود المجمع، عام ١٥٥٧م، محمل من الإنترنت.

(٣) هو يعقوب الصغير ابن حلفى، كان من تلاميذ المسيح، ويقال إن كاتبها يعقوب بن يوسف النجار، وقد كتبت هذه الرسالة في حدود، (٥٠ – ٦٠م)، وكاتبها كان متأثراً بأفكار وبدع بولس إلى حد كبير، ويرى بعض الباحثين الغربيين أن الدلائل تثبت أن كاتب هذه الرسالة ليس يعقوب. ينظر: اليهودية والمسيحية للأعظمي ص (٣٣٨).

عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب، وصلاة الإيمان تشفي المريض، والرب يقيمه، وإن كان قد فعل خطية تغفر له[1].

ويورد لنا الأستاذ خادم بخش مثالاً قد عايشه بنفسه عن الاعتراف عند الكاثوليك حالياً والرسوم المالية المطلوبة مقابل غفران ذنوبه، وهذا لاشك أنه صك غفران ضمني سري، وليس مكتوباً أو علنياً، وليس ثم فرق كما تقدم، فالغافر للخطايا هو هو، والمقابل المادي هو هو، ويبقى الإطار أو الشكل العام، وهذا لا يغير من صورة صكوك الغفران قديماً، ولندع الأستاذ خادم يحكي لنا بنفسه ما عايشه، قال: استغلت الديانة النصرانية ما فطر عليه ابن آدم من الندم والاستغفار، وقادت هذه الفطرة السليمة لمآربها الدنيئة، فاخترع البابا وأعوانه ما يسمى بكرسي الاعتراف بالذنوب وغفرانها لمرتكبيها مقابل رسوم مادية يدفعها طالب المغفرة، وكم كنت أتشوق عند تدريسي لهذه الجزئية أن أراها كواقع عملي ملموس.... وشاء الله جل جلاله أن أخرج في رحلة للتعرف على أحوال إخواني من المسلمين في القارة الأوربية، فوضعت رحالي في النرويج، وطلبت من أعظم القساوسة هناك أن يجري معي طقوس الاعتراف للقسيس، فكانت كالتالي، وقد عملت ذلك بناءً على القواعد الشرعية حاكي الكفر ليس بكافر، وإنما الأعمال بالنيات، ولو لم امتثل لما تمكنت من ذكر الدقائق التفصيلية، وأدخلني إلى غرفة منتحية في الكنيسة، فدخلتها ومعي مترجم نرويجي، فلبس القسيس جلباباً وأجلسني على كرسي وجلس هو على كرسي آخر عن يساري، ووضع يده اليمنى على رأسي، وأمامي صورة ورقية للمسيح مبروزة في زجاج، وأخذ يقرأ علي فقرات من الإنجيل مفادها: أني أغفر لك ذنوبك بموجب ما أُعطيت من السلطات الروحية من الإله المسيح.

ثم توقف برهة من الزمن وأمرني بالقيام والانحناء أمام الصورة الورقية، ثم أخذ يردد فقرات من الإنجيل السالفة الذكر، وأمرني بإعادتها خلفه، مفادها أني معترف بكل ذنوبي. ووجدت داخل الغرفة عشرين كرسياً فسألته عنها، فقال: تأتينا أحياناً أفواج وجماعات تريد التوبة الجماعية، فنجلسهم على هذه الكراسي ونقبل اعترافاتهم، وما اقترفوه من آثام، ونغفرها لهم بعد استيفاء الرسوم المطلوبة.

ثم قال الأستاذ خادم بخش –معلقاً على واقعته–: البابا والقساوسة يضحكون على الناس، والناس تضحك عليهم، استغفال متبادل، ما أعظمك ربي حين حصرت غفران الذنوب فيمن يملك ويخلق، ولا مالك ولا خالق إلا أنت، فأنت الحكم وأنت الغافر[2].

---

(١) رسالة يعقوب (٥ / ١٤ – ١٥).

(٢) ينظر: كرسي الاعتراف في الديانة النصرانية، موقع مجلة الابتسامة، أقسام الحياة العامة، مقالات الكتّاب "موقع على الإنترنت".

الفصل الثاني

نقض دعوى صكوك الغفران

وفيه ثلاثة مباحث:

لا يشك عاقل له أدنى مسكة من عقل ببطلان بدعة صكوك الغفران وتهافتها وتناقضها، وسيكون حديثنا عن بطلان هذه البدعة مستنداً على عدة أمور:

المبحث الأول :

أدلة النصارى على هذه البدعة ونقضها.

يستدل النصارى لتقرير هذه البدعة بدعوى ورود نصوص في الإنجيل تفيد أن عيسى -عليه السلام- يغفر الذنوب، ومنها: قوله لامرأة: مغفورة لك خطاياك[1].

وقال -للمفلوج-: ثق يا بني مغفورة لك خطاياك[2]. فعيسى -عليه السلام- -كما يزعمون- هو الوسيط بين الله والناس[3]، وقد دُفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض[4].

ويزعم النصارى أن عيسى -عليه السلام- قد فوّض صلاحية الغفران إلى بطرس، قال له: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات[5].

ويقول المسيح -عليه السلام- لتلاميذه: من غفرتم للناس خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت[6].

"ويقوم البابا مقام المسيح وخليفته بطرس الذي أولاه المسيح سلطة خاصة على الكنيسة، وألقيت إليه مفاتيح ملكوت السماء، وراعي الرعاة ورأس لأجساد المسيحيين

---

(١) إنجيل لوقا (٧/ ٤٨).
(٢) إنجيل متى (٩/ ٢).
(٣) رسالة بولس إلى تيموثاوس (٢/ ٥).
(٤) إنجيل متى (١٨/ ٢٨).
(٥) إنجيل متى (١٦/ ١٨- ١٩).
(٦) إنجيل يوحنا (٢٠/ ٢٣).

جمعاء وأبو المسيحيين أجمعين"[1].

الرد على هذه المزاعم:

أولاً: إن الاستدلال بما في الأناجيل والرسائل الملحقة بها هو فرع عن ثبوت صحة تلك الأناجيل وسلامتها من التحريف.

ومعلوم أن هذه الأناجيل لم تعرف إلا بعد موت أصحابها بعشرات السنين، وهذا الأمر يعترف به بعض باحثي النصارى، قال القس فهيم عزيز: لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد، ولم يكفها جيل أو جيلان بل استمرت مدة طويلة، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار، واستمرت في ذلك حقبة طويلة، ثم قال: والأناجيل الأربعة ظهرت متأخرة عن مجموعة كتابات بولس، ولم يشر بولس في كتاباته إلى أيٍّ من الأناجيل المكتوبة، ولا إلى أي كتاب عن حياة المسيح أو أقواله[2].

قال العلامة أبو زهرة: يذكر بعض المؤرخين أنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود الأناجيل الأربعة قبل آخر القرن الثالث[3]، وقال: وهذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحي إليه، ولكنها كتبت مِنْ بعده، وتشتمل على أخبار يحيى والمسيح وما كان منه، وما أحاط بولادته من عجائب وغرائب، وما كان يحدث منه من أمور خارقة للعادة، ولا تحدث من سواه من البشر، وما كان يحدث له من أحداث، وما كان يجري بينه وبين اليهود، وما كان يلقيه من أقوال وخطب وأحاديث وأمثال ومواعظ..... وفي الجملة هي تشتمل على أخبار المسيح وصلواته وأقواله وعجائبه من بدايته إلى نهايته في هذا العالم، وهذا لب المسيحية ومعناها؛ لأن فيها النواة الأولى لألوهية المسيح وعقيدة النصارى فيه[4].

وإن مما يدل على عدم صحة نسبة هذه الأناجيل لعيسى -عليه السلام- انقطاع سندها، والنصارى لا يدّعون أن أسفارهم وأناجيلهم قد كتبها المسيح أو أملاها، وإنما

---

(١) من كتاب: "يسوع المسيح" ص (١٦٦، ١٨٠، ١٨٣). وينظر: قصة الحضارة (٣٥٢/١٤).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص (١٤٦) وما بعدها.

(٣) محاضرات في النصرانية ص (٤٩). وينظر: نظرة في كتب العهد الجديد، لمحمد صدقي ص (٣٧).

(٤) محاضرات في النصرانية ص (٥٠ – ٥١).

يزعمون أن كتابها رسل المسيح.

قال شيخ الإسلام – ابن تيمية –[1]: وأما الإنجيل الذي بأيديهم، فإنهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح –عليه السلام– ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملاه بعد رفع المسيح متى[2] ويوحنا[3]، وكانا قد صحبا المسيح، ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر، ومرقس[4] ولوقا[5]، وهما لم يريا المسيح –عليه السلام–، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله، ونقل

---

(١) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، الإمام تقي الدين ابن تيمية الدمشقي، ولد سنة (٦٦١هـ)، وتوفي سنة (٧٢٨هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٢٧٨/٤)، وفوات الوفيات (٣٥/١)، والدرر الكامنة (١٤٤/١).

(٢) هو متّى ومتى من الاسم العبري مثيتا ومعناه: عطية يهوه، وهو أحد الاثنى عشر رسولاً ويسمى لاوي بن حلفي، وكان جابياً للضرائب في كفر ناحوم في فلسطين ثم دعاه المسيح فآمن به واتخذه تلميذا له، وبعد رفع المسيح أخذ متى يدعو إلى النصرانية في كثير من البلاد ثم استقر في الحبشة نحو (٢٣) سنة، يدعو بها ثم توفي أثر ضرب مبرح سنة (٧٠م)، وقيل على أثر طعنة رمح سنة (٦٢م). ينظر: قاموس الكتاب المقدس (٨٣٢ – ٨٣٣)، والأسفار المقدسة لوافي (٧٠)، واليهودية والمسيحية (٣١٩)، ومحاضرات في النصرانية (٥١). ويجب أن نلاحظ أن متى ويحونا ومرقس ولوقا وبطرس ليس لهم تاريخ معروف سوى ما ورد في الأناجيل نفسها وفي أعمال الرسل، وكل الدعاوى التاريخية الخاصة بأسمائهم وتنقلاتهم ووفايتهم ليس لها مصادر لدى النصارى موثقة سوى التخمين والدعاوى.

(٣) هو يوحنا الحواري ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل، دعاه المسيح مع أخيه يعقوب الذي قتله هرودس، ويرى بعض النصارى أن أمه أخت للسيدة مريم أم المسيح، وكان صياداً، ويعد من تلاميذ عيسى الأولين، وهو أحد الثلاثة الذين اصطفاهم المسيح ليكونوا رفقاءه، وهم يوحنا وبطرس ويعقوب، وقد دعا إلى دين النصرانية بعد رفع المسيح واضطهد وسجن، ثم أطلق سراحه سنة (٩٦م)، وتوفي سنة (٩٨م)، ويقال بعد ذلك. ينظر: قاموس الكتاب المقدس (١١٠٨ – ١١١٠)، ومحاضرات في النصرانية (٦٠)، واليهودية والمسيحية (٣٢٦).

(٤) اسمه يوحنا ولقبه مرقس باللغة اللاتينية ومعناه: مطرقة، ولد في أورشليم من أصل يهودي، ولم يكن من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا على المسيح، وهو ابن أخت برنابا، وقد صحب بولس وبرنابا في رحلاتهم ثم صحب بطرس وقضى معه شطراً من حياته، وتبعه إلى روما، ثم بعد وفاة بطرس، انتقل إلى مصر وتوفي بها سنة (٦٧م). ينظر: الأسفار المقدسة (٧٤)، واليهودية والمسيحية (٣٢٢)، ومحاضرات في النصرانية (٥٥).

(٥) لوقا اسم لاتيني، ربما كان مختصراً من لوقانوس أو لوكيوس، وهو صديق بولس ورفيقه، وقد ولد في أنطاكيا، ودرس الطب وزاول مهنته بنجاح، ثم أصبح من النصارى وأصبح من المبشرين بها، وقد مات سنة (٧٠م). ينظر: الأسفار المقدسة (٧٤، ٧٥)، واليهودية والمسيحية (٣٢٥)، ومحاضرات في النصرانية (٥٧).

اثنين وثلاثة وأربعة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب، ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل عيسى ابن مريم وموسى –عليه السلام–، وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل، وأن لهم معجزات، وقالوا لهم: هذه التوراة وهذا الإنجيل، ويقرون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا لم يكونوا أنبياء فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ، ولو كان أعظم أولياء الله، ولو كان له خوارق عادات، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من أفاضل الصحابة عند المسلمين أفضل من الحواريين، ولا معصوم عندهم إلا من كان نبياً، ودعوى أنهم رسل الله مع كونهم ليسوا بأنبياء تناقض، وكونهم رسل الله هو مبني على كون المسيح هو الله، فإنهم رسل المسيح، وهذا الأصل باطل، ولكن في طريق المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن، نمنعهم في هذا المقام ونطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله، وليس لهم على ذلك دليل.... ولكن يقال لهم في هذا المقام: أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلا بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنهم إثبات أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله، فصار ذلك دوراً ممتنعاً[1].

ويذكر الشيخ رحمة الله الهندي[2] أنه طلب مراراً من علماء النصارى الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعضهم عن ذلك في محفل المناظرة، قال –رحمه الله–: طلبت مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: إن سبب فقدانه عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلثمائة وثلاث عشرة سنة، وتفحصنا في كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئاً غير الظن والتخمين، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن، وقد قلت: إن الظن في هذا الموضوع لا يغني شيئاً، فما دام لم يأتوا بدليلٍ

---

(١) الجواب الصحيح (٢/٣٩٧ – ٣٩٨)، والدور: توقف الشيء على ما توقف عليه، أي يكون هو نفسه علة لنفسه بواسطة أو بدون واسطة، وهو مستحيل. ينظر: علم التوحيد د. عبد العزيز الربيعة ص (٥٥).

(٢) هو محمد رحمة الله بن خليل الله الكيرانوي العثماني، ينتهي نسبه إلى عثمان بن عفان –رضى الله عنه–، ولد سنة (١٢٣٣هـ)، وتوفي سنة (١٣٠٨هـ). ينظر: مقدمة د. محمد أحمد ملكاوي لتحقيق إظهار الحق (١/١٥) وما بعدها.

شافٍ وسند متصل فمجرد المنع يكفينا، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا[1].

ويشترط الشيخ أبو زهرة –رحمه الله– أربعة شروط للكتاب الديني ليكون حجة يجب الأخذ به على أنه شريعة الله ودينه وهي:

١– أن يكون الرسول الذي يُنسب إليه قد عُلم صدقه بلا ريب، وأن يكون قد دعم ذلك الصدق بإعجاز.

٢– ألا يكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً، فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره.

٣– أن يدعي ذلك الرسول أنه أوحي إليه به، ويدعم ذلك الإدعاء بالبينات الثابتة.

٤– أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي، بحيث يتلقاه الأخلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل، وأساس ذلك التواتر.

ثم قال –رحمه الله–: إن الكتب في الدين هي أساسه، فإن لم تكن مستوفية الشروط السابقة لم يكن الاطمئنان إلى صحتها كاملاً، وتطرق إليها الريب والظن من كل جانب، وبذلك يتهدم الدين من أساسه، ويؤتى من قواعده[2].

قالت الباحثة د. سارة العبادي –في خاتمة بحثها حول التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة–: إن هذه الأناجيل منقطعة السند تماماً عن واضعيها، ويوجد التحريف في الأناجيل الأربعة واضحاً بأنواعه الثلاثة: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة، وتحريف بالنقصان، ووجود التناقض ظاهراً في كل إنجيل من الأناجيل الأربعة على حدة، ووجوده كذلك واضحاً فيما بين هذه الأناجيل، وأن الأناجيل الأربعة قد تضمنت ذكر حوادث تاريخية غير صحيحة، وهي أقرب ما تكون إلى الخيال منه إلى الحقيقة، وإن الأناجيل الأربعة لا تصلح أن تكون حجة للنصارى في عقائدهم لتحريفها وتناقضها وبطلان دعوى الإلهام لكتابها[3].

فإذا ثبت تناقض كتبهم وتحريفها وعدم عصمتها، فلا يصح الاستدلال بما جاء فيها، لاسيما في الأمور الغيبية، وبخاصة إذا خالفت النصوص القطعية لخاتمة الرسالات،

---

(١) إظهار الحق (٨٣/١ – ٨٤).

(٢) محاضرات في النصرانية (٩٢).

(٣) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة ص (٣٠٨ – ٣٠٩).

وخالفت العقول والفطر.

ثانياً: "لم يثبت أن المسيح –عليه السلام– أمر بالغفران في حياته، أو أقر به، ولم يثبت أن أحداً من أصحابه اعترف أمامه بذنوبه وخطاياه وطلب منه المغفرة"[1].

قال د. محمد السحيم: وإذا سقط وامتنع وجود الشفيع المطلق والمخلص الفادي، فسقوط وامتناع الشفعاء والوسطاء الذين هم دونه متحقق لا محالة، وإذا لم تثبت هذه المرتبة للأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – فعدم ثبوتها لهؤلاء من باب أولى، وانفراد النصرانية بها دليل على شذوذها وتهافتها[2].

والأناجيل التي يعتمدون عليها في تقرير هذه البدعة طافحة بإثبات عبودية المسيح –عليه السلام–، وأنه بشر رسول، وأن المغفرة لله وحده، قال الحسن بن أيوب[3] – فيما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عنه –: وإذا نظر في الإنجيل وكتب بولس وغيره ممن يحتج به النصارى، وجد نحواً من عشرين ألف آية مما فيه اسم المسيح، وكلها تنطق بعبودية المسيح، وأنه مبعوث مربوب[4].

وفيما يلي بعض النصوص من الأناجيل التي تقرر ذلك:

هناك نصوص عامة في الإنجيل تثبت بشرية عيسى وعبوديته لله، وأن أفعال الله مختصة به لا يشركه فيها أحد، وأن عيسى لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره شيئاً، ومنها:

جاء في إنجيل متى: ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعدما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً، فتقدم إليه المجرّب وقال له: إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، فأجاب وقال: مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله، ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة وأوقفه على

---

(١) من تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب لابن الترجمان ص (١٧١ – ١٧٢).

(٢) مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية (٤٩٨/١).

(٣) هو الحسن بن أيوب، كان نصرانياً ثم أسلم، من المتكلمين، وله رسالة في الرد على النصرانية وتثبيت النبوة أرسلها إلى أخيه علي بن أيوب، وقد عاش في أوائل القرن الرابع. ينظر: الفهرست لابن النديم (٢٤٦).

(٤) الجواب الصحيح (١٧٦/٤).

جناح الهيكل، وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجرٍ رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب إلهك، ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها، وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي، حينئذ قال له يسوع: اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"[1].

"وهذه القصة شاهدة على عبودية المسيح لله – سبحانه وتعالى – من عدة وجوه:

الأول: إرسال الروح إياه إلى البرية ليختبر من إبليس هل يثبت على التوحيد أم لا.

الثاني: صومه تلك المدة، فإنه من جملة القرب التي يتقرّب بها الصالحون خصوصاً الأنبياء.

الثالث: جوعه –عليه السلام– فإنه ينافي الربوبية.

الرابع: قول إبليس له: "إن كنت ابن الله" فإنّ هذا يدلّ على أنه غير الله، لأن الابن غير الآب، والنصارى يقولون: إن الله عبارة عن الآب والابن والروح القدس إله واحد، ولو كان الإله كما يقولون لقال: إن كنت ابن الآب الذي هو أحد أقانيم الإله، أو إن كنت أقنوماً في الله أو نحو ذلك.

الخامس: قول المسيح – جواباً عمّا طلب إبليس من تصيير الحجارة خبزاً – مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكلمة تخرج من فم الله، يعني أنه إنسان لا يحيا بالخبز وحده بل به وبالوحي الإلهي المنزل عليه من عند الله تعالى، فالأول غذاء بدنه والثاني غذاء روحه.

السادس: اعترافه بأنّ الله واحد، وبأنه لا يعبد أحد سواه، وذلك في قوله: "لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد".

هذا ومن سفه الرأي وشطط القول أن يقال: إن إله العالمين أصعده الروح القدس إلى البرية ليجرب من إبليس أبغض خلقه إليه، فجعل ينقله من مكان إلى مكان حتى صعد به إلى جبل شاهق، وأراه ممالك العالم، ومناه بإعطائها له إن سجد له، فيا عجباً كيف ينحصر الإله في يد بعض خلقه يصرفه كيف يشاء، وهو خاضع له ممتثل لأوامره، وكيف

---

(١) (٤: ١– ١٠).

يصير إنساناً ينقله إبليس من مكان إلى مكان، وكيف يعرض عليه ممالك العالم، وهو يعلم أن بيده ملكوت كل شيء؟!!.

فليس في الدنيا مهزأة أعظم من هذه الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان"[1].

وهناك نص آخر يقول على لسان المسيح –عليه السلام–:

"وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن – يعني نفسه – إلا الآب"[2].

"فهذا القول شهادة بيّنة على أنه عبد مربوب إذ لو كان إلهاً بمقتضى الاتحاد والحلول لما خفي عليه علم الساعة، وليس للنصارى أن يقولوا: إنه نفى عن نفسه باعتبار الناسوت لا اللاهوت لأنا نقول لهم: إنه قصر علمها على الآب، ونفاه عن نفسه وعن غيره من الخلق، فدلّ ذلك على أن لفظ الابن إنما يقع على الناسوت فقط، إذ لا يجوز نفي العلم عن اللاهوت، لأن اللاهوت يعلم كل شيء"[3].

وقد جاء بالنص على لسان المسيح –عليه السلام– قوله:

"أنا إنسان قد كلّمكم بالحق الذي سمعه من الله"[4].

"والأركان في هذا النص ثلاثة: كلام مسموع وهو الحق والله الذي أسمع هذا الحق للمتكلم به، والإنسان الذي تكلم بالحق الذي سمعه من الله.

وكل من الثلاثة غير الآخر، وانظر إلى تعريفه إياهم بنفسه في قوله: "أنا إنسان"، وهذا بيان ما بعده بيان، فلو كان غير ذلك لوضح وقال، ولكنه لم يقل، ولو كان غير ذلك ولم يوضّح لكان كاذباً ومخادعاً لأنه تكلم بغير الحق الذي أخفاه.

ونحن نعتقد أنّه صادق في التعريف بنفسه "أنا إنسان" ما دام ذلك يتفق مع حقيقة ماهيته كإنسان، وهكذا كان في نظر غيره من معاصريه"[5]، "فخرج ببلاطس إليهم وقال

---

(١) انظر: موقف القرآن من عقيدة التثليث ص (١١٩ – ١٢٠)، نقلاً عن د. محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه ص (١٢٨ – ١٣٠).

(٢) إنجيل مرقس (١٣ – ٣٢).

(٣) انظر: موقف القرآن والكتب المقدسة من عقيدة التثليث ص (١٢١ – ١٢٢)، نقلاً عن د. محمود كريت (إنجيل برنابا بين الإسلام والنصرانية)، رسالة دكتوراه ص (١٣١).

(٤) إنجيل يوحنا (٨: ٤٠).

(٥) انظر: د. محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة ص (٤٤٤).

أية شكاية تقدمون على هذا الإنسان"[1]، "هذا ذا إنسان"[2].

وقد أجاب الأعمى الذي أبصر على يدي المسيح سائليه عمّن شفاه بقوله: "إنسان يقال له يسوع"[3].

كما جاء بالنص على لسان المسيح –عليه السلام– اعترافه بأنّه ابن الإنسان يقول: "من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان"[4].

وإذا كانت هذه النصوص من الأناجيل تؤكد أنه –عليه السلام– إنسان وابن إنسان فهذا بلا شك ينافي دعواهم ببنوته لله تعالى وألوهيته فهو عبد مربوب ورسول كريم.

وقد ورد نص في إنجيل يوحنا بأن المسيح –عليه السلام– يتعب ثم يجلس ليستريح من عناء السفر.

"فإذا كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر"[5].

"وهذا يؤيّد عجزه وضعفه، وإنّه عرضة كغيره للإرهاق والتعب، وينفي ألوهيته المزعومة، لأن الله القوي لا يتعب ولا يضعف... وإنما تعب المسيح –عليه السلام–، وجلس بعد التعب ليستريح، لأنه إنسان جسد من جسد"[6].

وهناك نصوص إنجيلية أخرى تدل على أنّه –عليه السلام– لا يستطيع فعل شيء من ذاته.

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً"[7].

"لست أفعل شيئاً من نفسي بل أتكلم بهذا كما علمني أبي"[8].

وقال رجل للمسيح –عليه السلام–: أيها الصالح، فقال: ليس صالح إلا الله وحده[9].

---

(١) إنجيل يوحنا (١٨: ٢٩).
(٢) إنجيل يوحنا (١٩: ٥).
(٣) إنجيل يوحنا (٩: ١١).
(٤) إنجيل يوحنا (١: ٥١).
(٥) إنجيل يوحنا (٤: ٦).
(٦) انظر: د. محمد زهران (إنجيل يوحنا تاريخاً وموضوعاً)، رسالة دكتوراه ص (٤٤٦).
(٧) إنجيل يوحنا (٥: ٣٠).
(٨) إنجيل يوحنا (٨: ٢٨)، وينظر: موقف اليهود والنصارى من المسيح، د. سارة العبادي ص (٣٣٦ – ٣٣٩).
(٩) إنجيل مرقس (١٠/١٨)، ونقله ابن تيمية في الجواب الصحيح (٤/١٥٨).

وجاء في إنجيل يوحنا: أن المسيح –عليه السلام– قال في آخر أيامه: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته[1].

وقال – عند قصة الصلب –: يا أبي اغفر لليهود ما يعملون فإنهم لا يدرون ما يصنعون[2].

قال العلامة عبد الرحمن باجه جي زاده[3]: كان الواجب على هذا المصلوب وهو الإله بزعمهم أن لا يدعو إله غيره، بل يقول: غفرت لكم[4].

وقال المسيح –عليه السلام–: ليس كما أريد أنا، فلتكن مشيئتك[5]، وقال –عليه السلام–: لا أستطيع أن أصنع شيئاً ولا أتفكر فيه إلا باسم إلهي[6].

وقال: لا ينبغي للعبد أن يكون أعظم من سيده، ولا للرسول أن يكون أعظم ممن أرسله[7].

وقال عيسى – لامرأة سألته أن يجلس ابنيها واحداً عن يمينه وواحداً عن يساره –: وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي[8].

قال د. محمد توفيق صدقي – معلقاً على هذا النص –: فإذا كان هو نفسه لا يمكنه أن يعطي شيئاً إلا لمن أراده الله، فكيف إذا تعطى تلاميذه الغفران لمن شاءوا، ويمنعونه عمن شاءوا؟! إن هذا لأمر عجيب[9].

وفيما يتعلق بالغفران، قال عيسى –عليه السلام–: فصلوا أنتم، هكذا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك في الأرض خُبْزنا كفافنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا...

---

(١) (٣/١٧).

(٢) إنجيل لوقا (٤٦/٢٣).

(٣) هو عبد الرحمن بن سليم بن عبد الرحمن الموصلي البغدادي، ولد سنة (١٢٤٨هـ)، وتوفي قبل (١٣٢٢هـ). ينظر: إيضاح المكنون للبغدادي (١٥٣/٢)، ومعجم المؤلفين (٩٠/٢).

(٤) الفارق بين المخلوق والخالق ص (٤٣٢).

(٥) إنجيل متى (٢٩/٢٦)، ونقله بنصه ابن تيمية في الجواب الصحيح (١٢٥/٤).

(٦) إنجيل يوحنا (٢٨/٨)، ونقله بنصه ابن تيمية في الجواب الصحيح (١٢٦/٤).

(٧) إنجيل يوحنا (١٦/١٣)، ونقله بنصه ابن تيمية في الجواب الصحيح (١٢٦/٤).

(٨) إنجيل متى (٢٣/٢٠)، وإنجيل مرقس (٤٠/١٠).

(٩) نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١١٢).

وإن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي، وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم[1].

قال العلامة عبد الرحمن زاده: لاشك أن العاقل المنصف لا يفهم من قوله: كما نغفر نحن للمذنبين أيضاً إلا معنى التجاوز والسماح من العبد لعبد مثله عما ارتكبه في حقه من العيوب لا عما ارتكبه من الجريمة والذنوب بالنسبة لخالقه، فإن هذا لا يتصوّره إلا أحمق، والجملة بتمامها إقرار بالعبودية من المسيح، ودليل على أنه مخلوق لله تعالى[2].

ومن النصوص الصريحة في المسألة: أن المسيح سأل تلاميذه: ماذا يقول الرجال عني؟ فقالوا عدة جوابات وأجاب بطرس: أنت المسيح أنت ابن الله، وعندئذ أصبح عيسى غضباناً وعنّفه بغضب قائلاً: اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشرير، وتسعى لأن تدفعني للفضيحة،.... فلم يطرده ولكنه عنفّه مرة أخرى قائلاً: حذار أن تقول أبدا مثل هذه الكلمات مرة أخرى، لأن الله سوف ينبذك، فبكى بطرس وقال: أيها السيد، لقد تكلمت بغباء فاضرع إلى الله كي يغفر لي[3].

---

(١) إنجيل متى (٦/ ٩ و١٤– ١٥).

(٢) الفارق ص (٨٠ – ٨١)، وسيأتي التعليق على جملة: كما نغفر نحن للمذنبين، وجملة: إن غفرتم للناس، وبيان أنه ليس فيها ما يدل على نسبة الغفران للتلاميذ.

(٣) إنجيل برنابا، الفصل (٧٠) ص (١٦٩– ١٧٠)، ويعد هذا الإنجيل من الأناجيل الأبوكريفية، أي غير القانونية، وهو منسوب إلى يوسف بن لاوي بن إبراهيم، على الأرجح أنه أحد تلامذة المسيح، ولقب ببرنابا ومعناها ابن الواعظ، وقد كان يبشر بالنصرانية بعد رفع المسيح، ثم اضطهده اليهود وأخذوه وضربوه بالحجارة حتى مات سنة (٦١م). قال العلامة أبو زهرة –رحمه الله–: وأقدم نسخة معروفة من إنجيله هي النسخة الإيطالية التي عثر عليها في فجر القرن الثامن عشر، ولكن وجودها يمتد إلى منتصف القرن الخامس عشر، وقد وجدت في جو نصراني خالص، فلا مظنة لأن تكون مدخولة عليهم، وكان معروفاً قبل ذلك بقرون أن لبرنابا إنجيلاً، وهو يدل على أن كاتبه على إلمام تام بالتوراة التي لا يعرفها الرجل النصراني غير الاختصاصي في علوم الدين، بل يندر من يعرفها من المختصين، وأن برنابا كان من الدعاة الأولين الذين عملوا في الدعوى عملاً لا يقل عن عمل بولس كما تذكر رسالة أعمال الرسل، فلابد أن تكون له رسالة أو إنجيل، هذه بيانات تشهد بأن الإنجيل الذي كشف وعرف صحيح النسبة، ليس للمسلمين يد فيه.

وإنجيل برنابا يمتاز بقوة التصوير، وسمو التفكير، والحكمة الواسعة، والدقة البارعة، والعبارة المحكمة، والمعنى المنسجم، حتى إنه لو لم يكن كتاب دين لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى لسمو العبارة، وبراعة التصوير.

ولماذا أنكره النصارى مع أن قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة في كتبهم الأربعة إن لم تكن

وقال عيسى – عندما جاءه مريض بالشلل –: إنني لست بقادر على أن أغفر الخطايا، ولا أي رجل بقادر على ذلك، لكن الله وحده يغفر[1].

وقال – مخاطباً الحواريين –: فليغفر لكم الله أيها الإخوة[2]، وقال: وإذا قال الله: لقد غفرت لك وأنا الآن حريص على ثوابك فلتجبه أنت: يا مولاي إني لأستحق العقاب لما قد فعلت...[3].

وإذا تبين أنه ليس لبدعتهم أي أصل من أقوال المسيح –عليه السلام– وأفعاله، وليس لها أي مستند في نصوص العهد القديم، فيظهر أنهم استقوا هذه البدعة من الفلسفات الوثنية القديمة، شأنهم في ذلك شأن سائر بدعهم كالصلب والفداء والحلول والاتحاد والتثليث، وغير ذلك من البدع التي ضارعوا فيها الوثنيين والفلاسفة القدامى[4].

وفي شأن صكوك الغفران يذكر الأستاذ محمد قطب صلة هذه البدعة بالملل الوثنية القديمة فيقول: قد عرفت الديانات الوثنية – من قبل ومن بعد – عملية إرضاء الكاهن ابتغاء رضوان الإله المعبود، باعتبار أن الكاهن هو الوسيط بين العبد والرب، وأن رضاه يؤدي – في وهمهم – إلى رضا الإله، وغضبه يؤدي إلى غضب الإله، والنذور للأوثان أمر

أقوى؟ الجواب عن ذلك أنهم رفضوه لأنه خالف أناجيلهم ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة، ولقد كنا نظن أن ظهور ذلك الإنجيل كان يحمل الكنيسة على التفكير من جديد في مصادر الدين، لتعرف أي الكتب أقرب نسباً بالنصرانية الأولى، أذلك الإنجيل بما خالف أم الرسائل والأناجيل التي توارثتها؟ ولكنهم سارعوا إلى الرفض والإنكار كما سبق أسلافهم إلى إنكاره من قبل.

ثم ذكر أبو زهرة مخالفة هذا الإنجيل للأناجيل المعتمدة عند النصارى في أنه لم يعتبر المسيح ابن الله ولا إلهاً، وأن الذبيح إسماعيل، وأن التبشير فيه بالنبي –صلى الله عليه وسلم– جاء صريحاً بالاسم، وأن عيسى لم يصلب بل شبه للنصارى فيه. ينظر: محاضرات في النصرانية ص (٧٤ – ٨٠)، بتصرف، وينظر في المسألة: اليهودية والمسيحية ص (٣٥٣)، ودراسات في الأديان ص (٢٤٠)، ومقدمة د. أحمد غنيم لإنجيل برنابا.

(١) إنجيل برنابا، الفصل (٧١) ص (١٧١ – ١٧٢).

(٢) إنجيل برنابا، الفصل (١٢٦) ص (٢٨٣).

(٣) إنجيل برنابا، الفصل (١٨٢) ص (٣٩٥)، وينظر: الفصل (١٠٢) ص (٢٣٤)، والفصل (٨٩) ص (٢٠٩، ٢١٠).

(٤) ينظر: في تحرير ذلك وإثباته ما كتبه الأستاذ محمد طاهر التنير في كتابه: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وينظر أيضاً: الأصول الوثنية للمسيحية، تأليف أندريه نايتون وإدغار وين وكارل غوستاف يونغ، وترجمة سميرة عزمي الزين نشر المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ت.

معروف في التاريخ، وكان العرب في الجاهلية يؤدون الشعائر والنسك للأوثان – ومن بينها تقديم النذور – ليقربوهم إلى الله زلفى[1].

ثالثاً: نقض أدلتهم على هذه البدعة.

أما استدلالهم بما نسبوه إلى المسيح –عليه السلام– من المغفرة، فقد نقض استدلالهم بذلك بعض الأئمة، ومنهم العلامة الهاشمي[2]، قال: والجواب هو أنا نقول: ليس كذلك لفظ الإنجيل، وإنما قال له: مغفورة لك خطاياك، أخبره عن الله بغفر خطاياه لصبره على بلواه، وسكونه تحت مجاري قدر مولاه، ثم ولو سلمنا ورود هذه اللفظة بعينها على ما حرّفها السائل، فليس فيها مستروح لما يحاول، إذ يحتمل أن يكون ذلك المقعد من جملة من كان يؤذي المسيح مع اليهود، ويقول فيه كقولهم، فلما رآه المسيح وشاهد بلاه رقَّ له وحنى عليه فقال له: قد غفرت لك، يريد حللتك، والدليل عليه قول بطرس في الإنجيل للمسيح: يا أبت، إلى كم أغفر لأخي إذا أخطأ إلي، إلى سبع مرات؟ قال: لست أقول إلى سبع مرات فقط، بل إلى سبعين مرة سبع مرات[3].

وهذه أكابرهم اليوم يفعلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حط ذنوبه، وليس فيهم من يعتقد خروجه عن ربقة العبودية.

وقد ذكر الإنجيل أن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال: ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا[4].

فصرّح في هذا القول بأنه عبد مخلوق، جعل الله له أن يخبر عباده بغفر خطاياهم لإيمانهم به وتصديقهم له.

وقال قال مرقس في إنجليه: قال يسوع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة، لكيما يغفر لكم ربكم خطاياكم[5].

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص (٦٤).

(٢) هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين، بن محمد بن الحسين العلامة تقي الدين أبو البقاء الهاشمي، ولد سنة (٥٨١هـ)، وتوفي سنة (٦٦٨هـ). ينظر: ذيل مرآة الزمان لليونيني (٤٣٨/٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (٢٥٦/١٦)، ومقدمة د. محمود قدح للتخجيل (٣٣/١) وما بعدها.

(٣) إنجيل متى (٢١/١٨ – ٢٢).

(٤) إنجيل متى (٣/٩ – ٦).

(٥) إنجيل مرقس (٢٥/١١ – ٢٦).

وقالت التوراة في السفر الخامس منها: يا موسى ارحل أنت وبنو إسرائيل، وأنا أرسل معكم ملكاً يغفر لكم خطاياكم[1].

أضاف الغفران إلى المَلَك، وهو عبد من عبيد الله تعالى.... فقول المسيح للرجل: قد غفرت لك معناه: قد حاللتك أو قد شفعت لك[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قلتم: إن الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قبل، أن المسيح جاء إلى مقعد فقال: قم قم فقد غفرت لك، فقام الرجل ولم يدع الله في ذلك الوقت، قلنا لكم: هذا إلياس أمر السماء أن تمطر فأمطرت، ولم يدع الله في ذلك الوقت[3]... فإن قلتم: إن الغفران من الله –عز وجل– وأن المسيح قال لبعض بني إسرائيل: قم فقد غفرت لك، والله وهو الذي يغفر الذنوب، قلنا: فقد قال الله في التوراة: اخرج أنت وشعبك الذي أخرجت من مصر، وأنا أجعل معكم مَلَكاً يغفر ذنوبكم.

فإن زعمتم أن المسيح إله لأنه غفر ذنوب المقعد، فالمَلَك إذاً إله، لأنه يغفر ذنوب بني إسرائيل، وإلا فما الفرق؟[4].

وقال العلامة عبد الرحمن زاده: إن الرواة الثلاثة اتفقوا على أن المسيح قال – للمفلوج –: يا بني مغفورة خطاياك، وزاد المترجم لفظة: "ثق". ولا وجه لاعتراض الكتبة والفريسيين على المسيح –عليه السلام– إن ثبت ذلك عنه، لأنه لم يضف الغفران لنفسه، ومنه يُفهم أنها مغفورة من قبل الله تعالى بسبب ذلك المرض، لأن الأمراض كفّارة للذنوب، كما ورد عن نبينا –صلى الله عليه وسلم–[5] في هذا المعنى، بل يُفهم منه إقرار المسيح بعبوديته إلى مولاه، وهو أسلمُ من أن يقول للمفلوج: قم واحمل سريرك، إذ ربما يتصور المعترض أنه أراد إسناد الفعل إلى نفسه حينئذٍ حقيقة، ثم إن اتفاق الروايات على قول المسيح جواباً للكتبة: "لكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان

---

(١) سفر الخروج (٢٣/٢٣) (٣٤/٣٢).

(٢) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل (٤٠٩/١ – ٤١٠).

(٣) سفر الملوك الأول (٤٤/١٨ – ٤٥).

(٤) الجواب الصحيح (١٣٧/٤ – ١٣٨)، وينظر: النصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى ص (١٢١).

(٥) قال –صلى الله عليه وسلم–: "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غمّ ولا همّ ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه". أخرجه البخاري (٥٦٤١ و٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

سلطاناً على الأرض، أن يغفر الخطايا"، دليل آخر على إقراره بالعبودية، لأن تخصيص الأرض بالذكر دليل على أن ليس له سلطانٌ في السموات، والسلطان هنا بمعنى قوة المعجزات التي أظهرها الله على يده، وهي من دلائل النبوة. وكما اتفقوا على ذلك اتفقوا على تعجب الجموع وتمجيدهم الله تعالى عندما قال المسيح للمفلوج: قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك. وتعجبهم دليل آخر على أنه مخلوق لله تعالى، إذ لو اعتقدوا ألوهية المسيح لما تعجبوا من مثل هذا الفعل الذي لا يعجز الإله عن الإتيان بمثله[1].

وأما قصة بطرس وهي عمدتهم في تفويض سلطة الغفران من عيسى –عليه السلام– له، ومنه للرؤساء والبابوات –: "فهذه القصة الصحيح أنها كغيرها من تاريخ بطرس زيادة من رؤساء الكنيسة الأقدمين في إنجيل متى، ليبنوا عليها سلطاتهم التي كان منها ما كان مما لا ينساه تاريخ النصرانية، من سفك الدماء، وظلم الأبرياء، ودعوى القدرة على غفران الذنوب للناس، وغير ذلك"[2].

---

(١) الفارق ص (١٠٥– ١٠٦)، ويشير الأستاذ عبد الأحد داود إلى تلاعب المترجمين للإنجيل حسب أهوائهم فيقول: مما هو حري بالدقة أن المسيح –عليه السلام– لم يقل: عفوت لك عن خطاياك، ولم يقل: هو قادر، بل قال: له صلاحية، ففي العبرانية (شلطان وشلطانا) بمعنى الصلاحية والحكم. وابن الإنسان بمعنى مطلق الإنسان، إنسان، ابن آدم، وفي السريانية: بارناشا، دائماً بمعنى إنسان، أحد أفراد البشر، آدمي.

وقال: وكانت نظرية اليهود: "من يقدر على أن يغفر الخطايا إلا الله وحده"، وهي نظرية صحيحة جداً، ولكن إذا ورد على الخاطر نظرية: (من يقدر على إبراء المقعد إلا الله وحده)، فإن القادر على رفع الفالج وإزالته من الجسد – وقد عجز علم الطب عن شفائه – قادر أيضاً على أن يبرئ المريض بداء الخطيئة وأن يغفر الذنب بمحوه من روح المقعد في الحال، ويمكن فعل كليهما بإذن الله وقدرته فقط.

فالحقيقة التي كان يريد المسيح –عليه السلام– تعليمها وتفهيمها هي أن المأمور بالتبشير باقتراب ظهور ملكوت الله كما أنه يملك صلاحية وقدرة على شفاء المرضى وأصحاب العاهات فإنه بالطبع مأذون بأن يغفر ذنوب الخطاة أيضاً. ولكن على أن القدرة على عمل كليهما قد وهبت من الله تعالى، وفي اليونانية بمعنى قدرة، حرية، صلاحية، وكذلك مثلها في السريانية (ماراماريا) بمعنى(ابن آدم أي إنسان كان ابن الإنسان)، ولكن المترجمين يتلاعبون ويراوغون في الترجمة، فإن كانت هذه الكلمة تعود إلى المسيح جعلوا معناها ابن الإنسان وإن كانت إلى غيره جعلوا معناها إنسان، ابن آدم، بشر، وكذلك كملة (مار)، فإن كان المقصود بها المسيح جعلوا معناها (الرب الإله)، وإن كان غيره جعلوا معناها (سيد)، فيا أسفا على المترجمين بتلك التعبيرات المختلفة. ينظر: الإنجيل والصليب ص (٩٤ – ٩٥).

(٢) من كلام د. محمد توفيق صدقي، من كتابه: "نظرة في كتب العهد الجديد" ص (٥٤).

ومما يدل على كذب هذه القصة أنها حملت في طياتها تناقضاً ظاهراً فاحشاً غريباً، فبعد قول المسيح لبطرس: وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة...[1]، قال عيسى – بعده بثلاث فقرات لبطرس –: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس[2].

وقد ذكر هذا التناقض كلاً من الهاشمي[3] وابن القيم[4][5]، وعبد الرحمن زاده[6].

قال العلامة ابن حزم[7] – بعد سوقه كلا جملتي هذا الإنجيل بلفظ مقارب –: في هذا الفصل على قلته – وإنه قليل ومنتن كبعض ما يشبهه مما يكره ذكره – سوأتان عظيمتان: إحداهما: أنه برئ إلى بطرس بمفاتيح السموات، وولاه خطة إلهية لا تجوز لغير الله تعالى وحده لا شريك له، من أن كل ما حرّمه في الأرض كان حراماً في السموات، وكل ما حلّله في الأرض كان حلالاً في السموات.

والثانية: أنه آثر براءته إليه بمفاتيح السموات، وتوليته له خطة الربوبية، إما شريكاً لله تعالى في التحريم والتحليل، وإما متفرداً دونه تعالى بهذه الصفة، قال له في الوقت: إنه مخالف معارض له جاهل بمرضاة الله تعالى، مخالف له، لا يدري إلا مرضاة الآدميين.

فوالله لئن كان صدق في الآخرة لقد خرق في الأولى، إذ ولّى ما لا ينبغي إلا لله تعالى، جاهلاً بمرضاة الله تعالى، مخالفاً له لا يدري إلا مرضاة الناس، وإن هذه لسوأة الأبد، إذ مَنْ هذه صفته لا يصلح أن يبرأ إليه بمفاتيح كنيف[8] أو بيت زبل، ولئن كان صدق وأصاب في

---

(١) إنجيل متى (١٦/١٨ – ٢٠).

(٢) إنجيل متى (١٦/٢٣).

(٣) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (١/٢٩٧).

(٤) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الإمام شمس الدين أبو عبد الله، ولد سنة (٦٩١هـ)، وتوفي سنة (٧٥١هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣/٤٠٠)، والبدر الطالع (٢/١٤٣)، والشذرات (٦/١٦٨).

(٥) هداية الحيارى (٢١٤).

(٦) الفارق ص (٢٠، ٢١٠)، واستدل به الباحث عبد الله المطرود في رسالة الماجستير "إنجيل متى دراسة السند والمتن" ص (١٤٥ – ١٤٦)، لإثبات تناقض هذا الإنجيل.

(٧) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، العلامة الكبير أبو محمد الشهير بابن حزم الظاهري، ولد سنة (٣٨٤هـ)، وتوفي سنة (٤٥٦هـ). ينظر: السير (١٨/١٨٤)، ووفيات الأعيان (٣/٣٢٥)، وتذكرة الحفاظ (٣/١١٤٦)، والشذرات (٣/٢٩٩).

(٨) هو المرحاض. ينظر: القاموس المحيط – كنف – ص (١٠٩٩).

الأولى لقد كذب في الثانية، ووالله ما قال المسيح قط ما ذكروا عنه في الأولى، لأنها مقالة كافر شر خلق الله تعالى، وما يبعد أنه قال له الكلام الثاني، فهو والله كلام حق، يشهد به اللعين الكافر بطرس شاه وجهه، وعليه سخط الله وغضبه.

ثم عجب ثالث أننا قد ذكرنا قبل أن في الباب الثامن عشر من إنجيل "متى"[1] أن المسيح أشرك مع بطرس في هذه الخطة التي أفرده بها هاهنا سائر الاثنى عشر تلميذاً، ومن جملتهم السارق والكافر الذي دل عليه اليهود برشوة ثلاثين درهماً أخذها منهم، وأنه قال لجميعهم: ما حرمتموه في الأرض كان حراماً في السموات، وما حللتموه في الأرض كان حلالاً في السموات.

فياليت شعري كيف يكون الحال إن اختلفوا فيما ولاهم من ذلك فأحل بعضهم شيئاً وحرّمه آخر منهم؟ كيف يكون الحال في السموات وفي الأرض؟ لقد يقع أهلها مع هؤلاء السفلة في سفل وفي حرمةٍ وحلٍ معاً[2].

فبطرس[3] الذي فوّض إليه عيسى –عليه السلام– عندهم الغفران حاله لديهم غير مرضية، وجاء وصفه في قاموس الكتاب المقدس[4] بالشيطان وبأنه عثرة الرب.

وجاء في الإنجيل أنه كان ضعيفاً، وقد أنكر المسيح وقت الصلب من شدة الخوف[5]. وكان يرائي اليهود في أنطاكية حتى زجره بولس[6]. بل وبعض النصارى يحكمون عليه بالردة[7].

ومما يؤكد عدم صحة هذه العبارة الواردة في الإنجيل وركاكتها عدم الارتباط بين

---

(١) (١٨/١٨– ١٩).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨٥ – ٨٧).

(٣) هو أحد تلامذة المسيح بناءً على بعض الرسائل المقدسة عندهم، واسمه سمعان بن يونا، كان صياداً للسمك، فدعاه المسيح وسماه صخرة أو حجر، ويقابله باليونانية بطرس الاسم المعروف به. وبعد رفع المسيح سافر للتبشير بالنصرانية إلى أنطاكية وغيرها، وذهب إلى روما سنة (٦٥م)، فقبض عليه وسجن، وحكم عليه بالموت صلباً في زمن نيرون، وقد طلب أن يصلبوه منكساً حتى لا يتشبه بالمسيح. ينظر: محاضرات في النصرانية (٨٣ – ٨٤).

(٤) (١٠٧٦).

(٥) إنجيل متى (١٦/٢٣)، ومرقس (٨/٣٣).

(٦) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٢/١١– ١٤).

(٧) كما حكاه باجه زاده في الفارق (٢٤٢).

ألفاظها، يقول باجه زاده – موضحاً ذلك –: من تأمل قوله: "وأنا أقول لك: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"، يحكم العاقل بفكره السليم أن هذه الجملة لا معنى لها، وأين الارتباط بين قوله: أبني كنيستي وبين قوله: "وأبواب الجحيم" فإن كان هذا يعتبر من الإلهام إذاً على الإنصاف السلام..... وعلى تقدير صحة هذه الوصية لم يُفهم منها أيضاً المعنى الذي ذهبت إليه رؤساء النصرانية طبق أهوائهم من أن المسيح أذن لبطرس بنسخ التوراة ورفع التكليفات وإباحة المحرمات وأنه يغفر لمن يشاء، إذ من المعلوم أن من لوازم المغفرة أن يصرف الغافر عن الخاطئ نار جهنم، وبطرس هو نفسه مع كونه وصيّ المسيح لا يقوى على أبواب الجحيم، فكيف يكون ذلك لغيره من الأساقفة؟، فقد ثبت بالبداهة بطلان بدعة الغفران، لأنه خلاف الظاهر المحسوس، وضد الإنجيل والناموس، ثم كيف يصح هذا عن المسيح وهو القائل: ما جئت لأنقض التوراة؟ وبطرس كيف يفعل ذلك وهو إلى أن مات كان يتعبد طبق التوراة؟[1].

ومما يؤكد التناقض هنا وعدم صحة هذه العبارة ما ورد في إنجيل متى[2] من أن المسيح –عليه السلام– هو وحده رئيس الكنيسة، فمنه وحده يؤخذ الدين النصراني، قال باجه زاده – بعد نقله ذلك –: وبهذا بطلت وظيفة البابا الذي أقام نفسه بأنه المعلم للكنيسة المسيحية ورأسها، بمعنى أن ما يحله للأمة فهو حلال، وما يحرمه عليهم فهو حرام.

ثم قال: ثم لو صح لكانت تلك الرياسة منحصرة في بطرس فقط، لا تتعداه كما هو مقتضى نص الإنجيل[3].

وبين –رحمه الله– أن النصارى كذبوا وافتروا على بطرس وغيره شيئاً كثيراً

---

(١) الفارق ص (٢٠٣ – ٢٠٤)، وقد سخر الكاتب الأميركي جرين برنتن من استدلال الكنيسة بهذه الفقرات، وأرجع السبب في وقوع الكنيسة في هذا الخطأ إلى التشابه الشكلي بين لفظتي بطرس وصخرة. ينظر: أفكار ورجال – قصة الفكر الغربي – ص (١٩٣)، قال الشيخ سفر الحوالي – بعد نقله ذلك – وذلك أن اسم بطرس هو Peter ولفظ Petr يعني صخرة. العلمانية ص (٨٤)، وينظر: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى. اهـ. فشر (١٠٧/١).

(٢) (٨/٢٣ – ١٠).

(٣) الفارق ص (٧٧١ – ٧٧٣).

عظيماً[1].

إن من ينظر ويتأمل هذه العبارة ليدرك أنه يستحيل أن يتفوّه بها عاقل فضلاً عن تنسب إلى نبي فضلاً عن أن تنسب إلى إله.

وقد جاء في عبارتهم أن المسيح –عليه السلام– أعطى التلاميذ مفاتيح ملكوت السموات، قال د. محمد توفيق صدقي: أي عقل أصغر؟ أو أي إدراك أقصر؟ وأي علم أقل؟ وأي عقيدة أسخف! وأي وهم أكبر! وأي غرور أعظم ممن يعتقد مثل هذه العقائد؟ فإن الأرض ومن عليها ليست إلا ذرة من ذرات هذا الكون الواسع الكبير العظيم، كما أثبته علم الفلك الحديث.

قارن عبارات كتبهم هذه بقول القرآن الشريف: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، وقوله: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، وقوله﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[4]، فالبشر ليسوا أفضل من جميع مخلوقات الله – تعالى – كما يتوهم أولئك الواهمون المفتونون المغرورون، فكيف إذاً يتصرفون في ملكوت السموات؟ وما قدروا الله حق قدره، – سبحانه وتعالى – عما يتوهمون ويصفون ويشركون، هو الكبير المتعال ليس لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً، لا إله إلا هو الواحد القهار، رب السموات والأرض رب العرش العظيم، فله وحده الحمد والشكر أن طهر عقولنا بعقائد الإسلام من تلك الأوهام، ورفع نفوسنا بالتوحيد، حتى لا نمتهنها بالذل والجبن والعبادة لأمثالنا من العبيد[5].

---

(١) الفارق ص (٦٥)، وينظر: الإنجيل والصليب ص (٢١٢ – ٢١٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية (١٣٥).

(٣) سورة غافر، الآية (٥٧).

(٤) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

(٥) نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (٩٣ – ٩٤)، وسيأتي الكلام على غلو النصارى في رؤسائهم وقديسيهم ومنحهم خصائص لا تجب إلا لله وحده لا شريك له، بل وتفضليهم الكهنة على الله – والعياذ بالله –.

فيتضح مما تقدم أن "المسيح –عليه السلام– بشر رسول لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فكيف يجوز أن ينسب إليه أنه يمتلك مفاتيح الملكوت التي لا يملكها إلا الله وحده؟ وإذا كنا ننكر جازمين أن يملكها المسيح فلا معنى للجدال في كونه وهبها لبطرس أو لم يهبها، وكون الكنيسة ورثتها من بطرس أو لم ترثها، فالخطأ هنا أساسي لا يمكن إقراره، كما لا يمكننا أن نقر بأن المسيح إله"(١).

وإن من أعظم أسباب انحراف النصرانية ما أعطاه النصارى لرؤسائهم من حق النسخ في التشريع والتلاعب في الشرائع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن النصارى يجوّزون لأكابر أهل العلم والدين أن يغيروا ما رأوه من الشرائع، ويضعوا شرعاً، فلهذا كان أكثر شرعهم مبتدعاً، لم ينزل به كتاب، ولا شرعه نبي(٢).

وقال: يزعم النصارى أن ما أمر الله به يجوز لأحبارهم ورهبانهم أن ينسخوه، فيحللون ما حرم الله، كما حللوا الخنزير وغيره من الخبائث... ويحرمون ما حلله الله... ويوجبون ما أسقط، كما أوجبوا من القوانين ما لم يوجبه الله وأنبياؤه(٣).

وقال: وقال – تعالى – فيهم: ﴿ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤)، وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس، ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك.... وما وضعه لهم أكابرهم من القوانين الدينية والنواميس الشرعية بعضها ينقلونه عن الأنبياء، وبعضها عن الحواريين، وكثير من ذلك ليس منقولاً لا عن الأنبياء ولا عن الحواريين، بل من وضع أكابرهم وابتداعهم(٥).

قال عدي بن حاتم –رضي الله عنه–: أتيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو يقرأ

---

(١) من العلمانية للحوالي ص (٨٣).
(٢) الجواب الصحيح (٣/٣٠).
(٣) المصدر السابق (٣/١٠١)، وينظر (١/٣٤٣، ٣٦١)، (٢/٤٠٦)، وهداية الحيارى (٢٦٦).
(٤) سورة التوبة: الآية (٣١).
(٥) الجواب الصحيح (٣/١٧٢– ١٧٣).

في سورة "براءة": ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فقال: "أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرّموه"[1].

ويوضح لنا الإمام أبو العالية[2] معنى الربوبية عند النصارى بقوله: قالوا: ما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نُهوا عنه، فاستعضوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم[3].

وقال العلامة ابن عاشور[4]: وهذا حال كثير من طوائفهم وفرقهم، ولأنهم كانوا يأخذون بأقوال أحبارهم ورهبانهم المخالفة لما هو معلوم بالضرورة أنه من الدين، فكانوا يعتقدون أن أحبارهم ورهبانهم يحللون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، وهذا مطرد في جميع أهل الدينين... فحصل من مجموع أقوال اليهود والنصارى أنهم جعلوا لبعض أحبارهم ورهبانهم مرتبة الربوبية في اعتقادهم[5].

قال د. محمد توفيق صدقي: وإذا كان النصارى يعتقدون قدرة التلاميذ على التصرف في الكون[6] وغفران الذنوب، وأن كلمة أحدهم تنقل الجبال، ولا يستحيل عليها شيء[7]، فأي شيء أبقوه لله تعالى بعد ذلك كله سوى عمله بحسب مشيئتهم وانقياده لأوامرهم ونواهيهم؟ وهل هذا هو التوحيد الذي جاء به عيسى وجميع الأنبياء قبله؟ وهل إلى هذا الشرك والوثنية يدعون المسلمين الموحدين ولا يخجلون؟ فأي عقل أسخف من

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وحسنه، والبيهقي (١١٦/١٠)، والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) (٢١٨)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٧٨٤/٦)، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

(٢) هو رفيع بن مهران، الإمام المقرئ المفسر أبو العالية الرياحي البصري، أدرك زمان النبي –صلى الله عليه وسلم– وهو شاب وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه، توفي سنة (٩٣هـ)، وقيل (٩٠هـ). ينظر: السير (٢٠٧/٤)، والحلية (٢١٧/٢)، وتذكرة الحفاظ (٥٨/١)، والشذرات (١٠٢/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٤٢٠/١١)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٤/٦).

(٤) هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٣٩٣هـ). ينظر: الأعلام (١٧٤/٦)، ومعجم المؤلفين (٣٦٣/٣).

(٥) تفسير ابن عاشور – التحرير والتنوير – (١٧٠/١٠).

(٦) إنجيل متى (١٩/١٦)، (١٨/١٨).

(٧) إنجيل متى (٢٠/١٧).

هذا؟ ومن الذي جُنّ حتى يقبل ذلك منهم[1].

لقد غلا النصارى في منح القديسين سلطات ومزايا وصفات لا ينبغي أن تطلق على بشر – غير الرسل – فبناءً على هذا التفويض المفترى من عيسى –عليه السلام– لبطرس ثم للقديسين، جعلوا البابا ممثلاً لله على ظهر الأرض، يجب أن تكون له السيادة العليا المطلقة، والسلطان الأعظم، ما دام أنه يعمل باسم الله، فكل ما يحله ويبرمه حسب مشيئة الله، ولذا فهو معصوم عن الخطأ، وينبغي له الطاعة العمياء بلا جدال أو نقاش، ومن يرفض الانصياع لأوامره ويخرج عن إرادته، فهو كافر مهرطق[2] عندهم، تحل عليه اللعنة، ويحرم من دخول الملكوت مهما بلغت وجاهة رأيه بل مهما كانت سوابقه وخدماته للنصرانية وللكنيسة نفسها[3].

ويحكي لنا عبد الأحد داود[4] طرفاً من غلو النصارى في البابا بقوله: إن حضرة البابا لا يغفر خطايا المسيحيين الذين على وجه الأرض فقط، بل يمسح وينظف ذنوب وخطايا النصارى المتوفين أيضاً بإرادة كاهنية واحدة أيضاً[5]، وقال: تعتقد الكنيسة الكاثوليكية أن قسماً من تعليم المسيح قد عهد به إلى التلاميذ (الحواريين)، ثم فوّض بالتسلسل منهم إلى الكنيسة، فماذا تكون إذن مكانة الإنجيل عند كاثوليكي يعتقد أن كاهن روما الأعظم هو خليفة المسيح ومفسر الكتب المقدسة والأخبار أو النبوات الإلهية الوحيد؟، ويقنع بأن حل المسائل وفصل المشكلات الحادثة سواء أكانت في حق الإنجيل أو في حق الدين المسيحي يعود إليه وحده؛ لذلك كان ملجأ الدين المسيحي ومستنده في نظر الكاثوليكي هو الحبر الأعظم البابا[6].

---

(١) نظرة في كتب العهد الجديد ص (١١٢ – ١١٣)، والدكتور محمد توفيق صدقي، عالم بالطب من علماء مصر، واعتنى بالأبحاث الدينية والرد على أهل الكتاب، ولد سنة (١٢٩٨هـ)، وتوفي سنة (١٣٣٨هـ). ينظر: الأعلام (٦/ ٢٩٠)، وهدية العارفين (٢/ ٣٩٧)، ومعجم المؤلفين (٣/ ١٨٥ – ١٨٦).

(٢) ليست عربية، ومعنى مهرطق: من أتى ببدعة.

(٣) ينظر: العلمانية (٨٢).

(٤) هو عبد الأحد داود، كان نصرانياً قسيساً، اسمه ديفيد بنجامين كلداني، ولد سنة (١٨٦٧م)، وتم ترسيمه كاهناً عام (١٨٩٥م)، واعتنق الإسلام بعد سنة (١٩٠٤م)، وتوفي سنة (١٩٤٠م)، ينظر: مسلمو أهل الكتاب، للدكتور محمد السحيم (١/ ٢٣٧).

(٥) الإنجيل والصليب ص (٢١٣).

(٦) المصدر السابق ص (٢٣).

بل وصل الغلو والإلحاد عندهم إلى أنهم فضلوا البابا على الله – والعياذ بالله – يقول أحد قساوستهم: إن البابا مأذون أن يعمل ما يريد حتى ما لا يحل أيضاً، وهو أكبر من الله[1].

إن دعوى العصمة للحواريين عند النصارى غريبة متناقضة، ولا تستقيم مع بدعتهم في الغفران، فإن كان هؤلاء الحواريين معصومين عن الخطايا فكيف راءى بطرس اليهود في أنطاكية حتى قال – عنه بولس –: إنه كان ملوماً مداناً، وإنه هو ومن معه لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل[2]؟ وكيف أنكر بطرس المسيح وقت أخذه للصلب وأقسم أنه لا يعرفه؟![3].

وإن كانوا غير معصومين وهو الحق[4] فكيف إذن يغفرون للناس ذنوبهم وهم عديمو الإيمان بل وأشرار كما قال لهم المسيح نفسه؟[5][6].

وإن الناظر في تاريخ البابوات وفضائحهم الأخلاقية ليتعجب من إصرار الكنيسة الكاثوليكية على دعوى عصمة البابا، وعلى أنه يمنح الغفران، فكيف لرجل أوغل في الكبائر والعظائم من قتل وزنا وشرب خمر وسرقة ولواط وغير ذلك أن يغفر لمعترف؟ فضلاً عن أن يكون معصوماً؟!.

قال د. محمد الأعظمي: وقد اغتنم رجال الدين والبابويون مناصبهم، فانتشر الفساد في صفوفهم من شرب الخمر والزنا والسرقة وما إلى ذلك، يقول جاد المنفلوطي: إن غالبية رجال الدين في تلك الأيام كانوا مدمني الخمر مستعبدين للعديد من الخطايا كخطيئة الزنا، وكانوا يعيشون في بحبوحة من العيش، يسعون وراء المتع المالية، مهملين القيام بواجبات الخدمة الموكلة إليهم.

ويقول: ولم تكن البابوية بمنجاة من هذه المساوئ التي كانت هي الطابع المميز

---

(١) ينظر: تاريخ كنيسة روما للقسيس خورشيد عالم ص (٦٦)، ونقله الأستاذ أحمد عطار في الديانات والعقائد (٣/ ٢٠٩)، والأعظمي في اليهودية والمسيحية ص (٤٠٠).

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية (٢/ ١١ – ١٤).

(٣) إنجيل مرقس (١٤/ ٧١).

(٤) كما في إنجيل متى (٦/ ١٤ – ١٥)، ولوقا (١١/ ١ و٤)، ويوحنا (٢/ ٢)، والرسالة إلى غلاطية (١/ ٤).

(٥) إنجيل متى (١٧/ ٢٠)، (٧/ ١١)، ولوقا (١١/ ١٣).

(٦) ينظر: نظرة في كتب العهد الجديد ص (٩٢)، والديانات والعقائد لعطار (٣/ ٥٠٥).

لحياة الكنيسة عامة في ذلك العصر، وعلى مدى مائة وخمسين سنة بدءً بسنة (٨٩٠م)، وصلت حالة البابوية إلى أحط درجات الانحطاط، ولعدة سنوات ظل هذا المنصب في أيدي بعض من النسوة المخمورات، كن يعطين ذلك المنصب لمن يروق لهن[١].

ويقول أحد القسيسين – عن ثلاثة من البابوات –: إنهم كانوا من الزناة، وغصبوا الأواني والأشياء الثمينة التي كانت في ملك الكنيسة، وقال: أنا لا أتعجب إذا قرأت عن هؤلاء أنهم كانوا مدمني الخمر يأخذون الرشوة ويزنون[٢].

ونقل الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار بعض النماذج من فضائح البابوات الأخلاقية ثم قال: لعل في هذه الشواهد من الحقائق ما فيه الغناء، وآلاف الكتب في جميع اللغات – وبخاصة الإنجليزية والفرنسية والألمانية – مليئة بمثل ما استشهدنا به، وتملأ مجلدات ضخمة، ولم يكتبها مسلمون يُقال: إن اعتناقهم ديناً يخالف المسيحيين يدفعهم إلى الحقد عليها والتشهير ببابواتها، بل المؤلفون والكُتّاب مسيحيون، وإذا كان البابا الحبر الأعظم وممثل الله والأقانيم الثلاثة بهذه البشاعة في الأخلاق، فما بال الآخرين من رجال الدين؟[٣].

قال عبد الرحمن زاده – مخاطباً النصارى –: هؤلاء مؤرخوكم ينسبون للبابوات كبائر الذنوب، فمن تكون هذه حالته فكيف يأمنه الشارع على تغيير ما جاء به من الله بمجرد هواه؟

ثم ساق جملة من الأمور التي تلاعب فيها البابوات في الشرائع، ثم قال: أبطلت الوظيفة البابوية جميع ذلك، وشرعت لهم شرعاً جديداً استغفلت به عوام الأمة النصرانية، فدبّ دبيبه إلى عقلائها وذلك غفران الخطايا، ولنعم الرشوة التي في مقابلتها أبطلت الوظيفة البابوية ما شرعه الله تعالى في التوراة والإنجيل[٤].

---

(١) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى (٤٠ – ٤١)، نقلاً عن الأعظمي.

(٢) تاريخ كنائس آسيا والهند في القرون الوسطى، للقس بركت الله ص (٤١٦)، نقلاً عن الأعظمي وكلامه في اليهودية والمسيحية ص (٤٠٠ – ٤٠١).

(٣) الديانات والعقائد (٥١٧/٣).

(٤) ذيل الفارق ص (٧٧٣)، وينظر في فضائح البابوات: قصة الحضارة (١٥٩/٤ – ١٦٠، ١٦٥، ١٦٨)، ومحاضرات في النصرانية (٢١١ – ٢١٢)، والنصرانية لعرفان (١٣٣)، والعلمانية (٩٤ – ٩٥).

من أعظم فضائح البابوات في ذلك الوقت أنهم لم تكن همتهم إلا خديعة الناس بصكوك الغفران، والغاية القصوى لديهم جمع واقتناء المزيد من الأموال. وهذه مناقضة صريحة لتعاليم الإنجيل، "فلم تنه الأناجيل المقدسة عندهم عن شيء نهيها عن اقتناء الثروة والمال، ولم تنفر من شيء تنفيرها من الحياة الدنيا وزخرفها، حتى أن المتأمل في الأناجيل – رغم تحريفها – لابد أن يؤخذ بروعة الأمثلة التي ضربها المسيح –عليه السلام– للحياة الدنيا ومتاعها الزائل، كما أنه سيرى من مسيرة المسيح العملية ما يؤيد مواعظه البليغة، فقد كان هو وحواريوه ورعين زاهدين ينظرون بعين المقت والازدراء إلى الكنوز المكدسة التي يحوزها اليهود"[1].

وسبق أن ذكرنا قول أحد القسيسين – عند عرضه لهذه الصكوك –: ما إن ترن نقودكم في الصندوق حتى تخرج النفس إلى ملكوت السموات؟ وأي تدليس وتلاعب وضحك على العقول أكبر من ذلك؟

يقول أحد رهبانهم – فيما نقله عنه الشيخ أبو الحسن الندوي –: وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطاً عظيماً، واستحوذ عليهم الجشع وحب المال وعدوا طورهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران، ويأذنون بنقض القانون، ويمنحون شهادات النجاة وإجازات حل المحرمات والمحظورات كأوراق النقد وطوابع البريد، ويرتشون ويرابون[2].

كان رجال الدين في ذلك الوقت يتسابقون في فتح الوكالات لبيع هذه الصكوك ويكتبون عليها: أيها الناس تقدموا إلى شراء صكوك الغفران، فإن باب الجنة مفتوح، إن لم تدخل الآن فمتى تدخل؟ لك أن تدخل أباك الجنة بمقابل اثنى عشر بنساً، هل أنت بخيل إلى هذا الحد؟ وكان هؤلاء قد جعلوا لكل إثم ثمناً معلوماً، فمثلاً لشهادة الزور تسع جنيهات، وللسرقة اثنا عشر جنيهاً، وللزنا بالبكر تسع جنيهات، وبالمدخولة سبع جنيهات ونصف جنيه[3].

---

(١) من العلمانية (١٣٨– ١٣٩)، وينظر في التحذير من اقتناء المال من الأناجيل، إنجيل متى (١٠/١٠–١١، ٥ /ص ٦، ٧ ص ١١، ١١/ص ١٩)، وإنجيل مرقس (٢٢/١٠)، ورسالة بولس الأولى (٣٧٧/٢).

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص (١٨٩).

(٣) ينظر: بين الإسلام والمسيحية للخزرجي ص (٩١)، واليهودية والمسيحية ص (٤٠٢).

يقول القس حنا جرجس: استخدمت الكنيسة في مرات عديدة الصكوك كلما احتاجت إلى المال، وتطورت الفكرة حتى أن بعض الدول والأمراء استعملوها لابتزاز المال، وساق جملة من ابتزازات البابوات وبعض الأمراء للناس مقابل بيع هذه الصكوك[1].

وتحضرني الآن قصة طريفة سمعتها قديماً من أحد الأساتذة حينما كان يتكلم عن بدعة الصكوك، وهي أن أحد اليهود في ذلك الوقت ادعى أنه تنصر ودخل على القسيس ليعترف، ودفع رسوماً مادية عظيمة، وجلس على كرسي الاعتراف، ولما طالبه القسيس بالاعتراف قال: إنه جاء ليشتري النار لتصبح ملكاً له، فطالبه القسيس بتغيير الطلب فرفض، وذكّر القسيس بضخامة الرسوم التي قدمها لهم، فحرّر له البابا صكاً ببيع النار، وأنها ملكه وحده، فخرج على الناس وخاطب طالبي المغفرة بقوله: إني قد اشتريت النار فهي ملكي، ولن أدخل أحداً منكم فيها، فكلكم إلى الجنة ونعيمها، فترك الناس الذهاب إلى الكنيسة لطلب الغفران ودفع الرسوم، ولأجل ذلك ضعفت موارد الكنيسة المادية، وأدركوا أنهم قد خُدعوا، فذهبوا إلى اليهودي الذي حرّروا له صكاً ببيع النار، وطالبوه ببيعهم النار، فرفض حتى دفعوا له أضعاف أضعاف ما دفعه هو لهم، واسترجعوا صك النار لهم، وعاد الناس إلى طلب الغفران منهم؟!

حقاً إنها لمهزلة وتلاعب ودجل وسرقة انطلت على كثير من السذج وضعفاء العقول. والحمد لله على نعمة الإسلام.

* * *

(١) المصلح مارتن لوثر ص (٦١ – ٦٢).

المبحث الثاني

تناقض هذه البدعة مع أصولهم الأخرى، ورفض العقل لها، وأثرها السيئ

إن المتأمل لبدعة صكوك الغفران أو ما يسمى حالياً بالاعتراف، ويربط معه ما تقدم من فضائح البابوات، يتيقن أن دعوى العصمة لهم هراء لا يقبلها عاقل أو منصف، ومن هنا يتضح لنا أن كثيراً من عقائد النصرانية يأباها العقل السليم، "وإن رهبان النصارى وأساقفتهم لما علموا أن دينهم مما تنفر منه العقول أعظم نفرة وضعوا لهم من الحيل والمخارق ما روّجوا به على السفهاء وضعفاء البصائر، واستمالوا به الجهلة إلى التمسك بالنصرانية"[1].

وقد سبق بيان أن الكنيسة تبرر كل طقوس من طقوسها مما لا يقبله العقل وتنفر منه النفوس بأنه سر إلهي، وترفض الجدال والنقاش حولها، فأصبحت هذه الطقوس ثوباً فضفاضاً يستر كل نقائصها ومخازيها، وسلاحاً فورياً يقاوم كل اعتراض عليها.

وهذه الاعتراضات والتناقضات على عقيدة الاعتراف عندهم مع ما يرونه من صدور الأخطاء العظام عن البابا كان متأججاً في عقول كثير من النصارى، ومنهم زعيم حركة الاحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية – كما سيأتي – مارتن لوثر، الذي كان يردد دائماً: إن البابا يمنح الغفران للناس، ولكنه لا يستطيع شراءه لنفسه[2].

وكانت تلك الاعتراضات وهذا التناقض أحد الدواعي والأسباب المهمة لهداية كثير من القساوسة النصارى واعتناقهم الإسلام – بحمد الله وتوفيقه –.

ومن هؤلاء الأستاذ فوزي صبحي المهدي، قال – مبرزاً التناقض الظاهر في عقيدة الاعتراف –: لابد أن أقرر اعترافي للدين الخاتم بوضوح تلك المسائل الهامة والتي لها علاقة وثيقة بالتدين والاعتقاد.... الثانية: الغفران وصكوكه. يكفي للإسلام فخراً أن المغفرة بيد الله، فهو الذي يملك المغفرة دون سواه، وإنما تتوقف رحمته ومغفرته على توبة الإنسان توبة صادقة مع إيمانه بالله الواحد الأحد وبرسالة محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–، أما نظرية الغفران في المسيحية، فيكفي أن نطرح هذه الأسئلة: كيف يغفر

---

(١) من منحة القريب المجيب، لابن معمر (٦٥٩/٢).

(٢) ينظر: أصول التاريخ الأوربي الحديث لأشرف صالح محمد سعيد ص (١٠٠).

عبد لعبد؟! ومن المعصوم من الذنوب؟! وكيف يغفر مذنب لمذنب مثله؟! أسئلة حائرة تحتاج إلى جواب مقنع، فهل تمنحنا النصرانية عنها فصل الخطاب؟![1].

ويروي لنا آخر قصته حينما كان نصرانياً ثم هداه الله للإسلام بقوله: في الإسكندرية وفي كرسي الاعتراف، جاءت إحدى السيدات تعترف لي بأنها زنت من غير علم زوجها ثلاث مرات، وتطلب المغفرة مني، وناولتني مائة جنية مصري، وقالت لي: من أجل قداستك اغفر لي خطيئتي، ورفعت الصليب في وجهها كالعادة، أمسكت شفتاي عن النطق، وأمسك لساني عن الكلام، ورأيت في كرسي الاعتراف على الستارة البنية اللون عجباً وأي عجب! لقد رأيت مكتوباً على الستارة بالنور الأخضر: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[2]، بكيت بحرقة شديدة ووجدتني وأنا أبكي أردد: كيف أغفر للناس خطاياهم؟ وأنا محتاج إلى من يغفر لي خطاياي؟! لقد أخذت ما هو لله وأعطيته لنفسي.

ثم خرج وقابل كبير القساوسة، وقال له: إن الشعب يعترف لي لأغفر له خطاياه، وأنا أعترف لك لتغفر لي خطاياي، وأنت تعترف للبابا ليغفر لك خطاياك، فمن الذي يعترف له البابا ليغفر له خطاياه؟!

فقاطعني قائلاً: ألم تعرف بأن البابا معصوم؟! قلت: سبحان الله البابا معصوم وأنبياء الله ورسله ليسوا معصومين كما تقول أسفاركم؟! وعلى الفور اتصل بالبابا ونقل له ما دار بيني وبينه وصدر قرار اعتقالي الكنسي فوراً[3].

وقال آخر – ممن هداه الله للإسلام –: ما هي صكوك الغفران التي يمنحها القساوسة على كرسي الاعتراف؟ وكيف يملك عبد حقير لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً أن يغفر لعبد مثله؟! ولماذا هذه الوساطة إذن؟ وما هي حقيقة الترتيب والتسلسل في عملية الاعتراف؟ فيض دافق من الأسئلة!! ولكن إذا كان النصارى البسطاء يعترفون للقس، والقس يعترف للبطريرك، والبطريرك يعترف للبابا، فلمن يعترف البابا إذن؟ هل يعترف لله؟! ومن يكون ذلك الإله من تلك الأقانيم الثلاثة؟!

---

(١) ينظر: لماذا أسلم هؤلاء القساوسة للشوادفي الباز (١/٤٣ – ٤٤).

(٢) سورة الإخلاص، الآية (١ – ٤).

(٣) ينظر: لماذا أسلم هؤلاء القساوسة (١/٧٤ – ٧٦).

استمرت هذه الحيرة أعواماً تسعة لا تهدأ حتى تثور، ولا تخمد حتى تشتعل[1].

وقال آخر – عن صكوك الغفران والاعتراف –: من يعترف لمن؟! ومن يغفر لمن؟! أليست هذه سذاجة واضحة؟![2].

ويكفي أن نذكر بعض التساؤلات التي أثارها البحّاثة الشهير د. محمد توفيق صدقي حول الاعتراف عند النصارى، ليتضح لنا مدى الدجل والتلاعب والتناقض في هذه البدعة، إضافة إلى عدم وضوح الصورة فيها، ولأجل ذلك جعلوها سراً إلهياً مقدساً لا ينبغي السؤال عنه أو عن كيفيته.

ومن هذه التساؤلات الآتي:

إذا غفر القسيس لمذنب لم يتب، هل تغفر ذنوبه أم لا؟ فإن غفرت فأين إذاً العدل الإلهي، وقد ساووا الطالح بالصالح بكلمة منهم واحدة؟ وأي فائدة للتوبة والاستقامة ما دام الأمر موكولاً لهم يهبونه لمن شاءوا ومتى شاءوا ولو لم يستحقه؟ وهل لا يحمل قول المسيح هذا – إن صح – النفوس على ترك كل عمل من أعمال البر والتقوى والسعي فقط فيما يرضي هؤلاء التلاميذ ونوابهم بدفع مال لهم وغير ذلك، وترك ما يرضي الله تعالى ما دام الأمر في يدهم لا في يده تعالى؟ وأي إباحة للشرور والمفاسد أعظم من ذلك؛ وهل لا تعذر النصارى الذين عبدوا هؤلاء القديسين من قديم الزمان بعد أن علموا – من نصوص كتبهم – أنهم يمكنهم أن يفعلوا بهم ما لم يفعله الله نفسه فيغفروا ذنوبهم ولو كانوا على العصيان والشر مقيمين؟ وأي قدرة أكبر من ذلك؟ وإن لم تغفر ذنوب المذنب إلا بالتوبة إلى الله والعمل الصالح فلم لم يشترط ذلك المسيح في عبارته هذه وجعلها مطلقة كما ترى؟ وإذا اشترط ذلك فما تكون إذاً فائدة غفران تلاميذه؟ وأي فرق بين وجوده وعدمه؟ وما مزيتهم على غيرهم؟ وهل لا تكون هذه العبارة عبثاً ظاهراً وقدرة موهومة أعطاها لتلاميذه؟ وكيف يصل علم هؤلاء التلاميذ إلى أسرار نفوس الناس والوقوف على حقيقة أمرهم حتى يعلموا إن كانت توبتهم صادقة صحيحة يستحقون لأجلها الغفران أم لا؟ فهل أصبحوا آلهة للعالم بكلمة المسيح

---

(١) ينظر: لماذا أسلم هؤلاء القساوسة (١/٢٨ – ٢٩).

(٢) المصدر السابق (١/٦٨).

هذه؟ فغفرانكم أيها الآلهة غفرانكم للعاصين مثلي الكافرين بكم؟.

وإذا لم يغفروا لمذنب تاب ورجع إلى الله وحده، فهل يُغفر له أم لا؟ فإن غفر الله له فما حاجة الناس إذاً إلى طلب الغفران منهم؟ وكيف قال المسيح: من أمسكتم خطاياه أمسكت؟ وإن لم يغفر الله له فكيف وعد التائبين بالغفران ولم يشترط شيئاً آخر غير التوبة والصلاح في جميع كتب الأنبياء السابقين، أي حتى قبل عمل الكفارة المزعومة بصلب المسيح؟ فهل لم يعلم الله في تلك الأزمنة بأولئك الآلهة الذين أشركهم – بزعمهم – المسيح معه فيما بعد حتى استقل بالعمل وحده بدون مراعاة رضاهم عن التائبين؟، فماذا يفعل إذا هم خالفوه في ذلك يوم القيامة؟ وكيف تكون التوبة قبل هذه الكفارة أسهل منها بعدها؟، فإنها كانت قبلها قاصرة على إرضاء الإله وحده، وأما بعدها فلابد من إرضاء غيره معه وهم كثيرون، تعالى الله عما يشركون، وكيف لا يقدر الله الغفور الرحيم على الغفران بدون إذنهم حتى تكون مشيئته تابعة لمشيئتهم؟، أما مشيئتهم هم فنافذة – بمقتضى وعد المسيح هذا – كالسهام بحيث لا تقف أمامها إرادة الله نفسه! فهم إذاً أقدر منه تعالى وأولى بالعبادة دونه وأحق، فأي باعث على الشرك وعبادة البشر أكبر من ذلك؟![1].

وإن المؤمن الفقير الضعيف عندهم يظل محروماً من الغفران مهما بلغ تقواه، وعظم حبه للمسيح، وحرصه على تنفيذ تعاليمه، فلم يكن "يحظى بالحصول على الغفران إلا أحد اثنين: رجل ذو مال يشتري الصك من الكنيسة حسب التسعيرة التي تحددها هي، ورجل يحمل سيفه ويبذل دمه في سبيل نصرة الكنيسة والدفاع عنها وحراسة مبادئها، وغير هذين رجل ثالث يعتصر قلبه أسى، لأنه لا يملك ثمن الصك أو لا يستطيع أن يشترك في الحرب إما لعجزه وإما لكونه غير مستعد للموت من أجل الكنيسة، لكنه يظل أسير صراع نفسي مرير، وشعور بالحرمان قاتل"[2].

ومما يستعجب له أن بدعهم ومخترعاتهم تنقض بعضها بعضاً، فالعماد الذي تقوم عليه النصرانية وهو مسألة فداء المسيح للبشرية عن الخطيئة المزعومة المتوارثة،

---

(١) نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ص (١٠٧ – ١١١).

(٢) من العلمانية للحوالي ص (١١٥).

وتخليصه لهم منها ينقض التعميد، فأساس التعميد – كما تقدم – عندهم هو غفران الخطايا، وهو مناقضة عظيمة لأصولهم، وذلك لأن اعتقاد النصارى أنه لا تغفر خطاياهم بدون قتل المسيح، ولذلك سموه "حَمَل الله" الذي يحمل الخطايا، ودعوه مخلص العالم من الخطيئة، فإذا آمنوا بأن المعمودية الواحدة هي التي تغفر خطاياهم وتخلصهم من ذنوبهم، فقد صرحوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح، لاستقلال المعمودية بالخلاص والمغفرة، وإن كان التعميد كافياً فقد اعترفوا أن وقوع القتل عبث، وإن كانت لا تحصل إلا بقتله فقد تناقضت الأمانة، وكذبت دعوى المغفرة بالتعميد إذ كان لابد من القتل[1].

ثم إن بدعة الفداء تنقض هي الأخرى بدعة غفران القسيس للذنوب، "فهم يقولون – عن المسيح –: هو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا العالم أيضاً، فكيف يكون المسيح كفارة لكل العالم، مع أن في العالم من عبدة الأوثان واللادينين، ويوجد كذلك في العالم الملايين من المسلمين الذين لا يؤمنون إلا بالتوحيد الحقيقي... إن الذي يرتكب أكبر الخطايا لا يمكن أن يعذب ما دام المسيح – كما يقولون – لم يُرسل إلا ليجعل الناس آمنين شر العقاب، فما معنى العبادة والطاعة؟!"[2].

فمن يؤمن بالمسيح وأنه صُلب ليتحمل خطايا البشر فقد تطهر من جميع الذنوب والآثام، وإن ارتكب الفواحش والمنكرات، فالإيمان بالمسيح وحده كافٍ لنجاته ولا حاجة إلى العمل[3].

قال عبد الرحمن باجه – مبيناً تناقضهم في الجمع بين عقيدتي الصلب والفداء والاعتراف ونقله اعتراض بعض الغربيين على الكنيسة بقوله: لو جاز وساطة غير المسيح لكان صلبه والفداء عبثاً –: البابا وأمثاله لا يُسلم لهم أنهم شفعاء، ولكن المطران لم يعطهم رتبة الشفاعة فقط بل جعلهم وسطاء كالأنبياء، وزعم أنهم أعلى من الرسل، لأنهم يغفرون خطايا من شاءوا من المذنبين، فتبين أن اعتراض الأمريكاني على الكنيسة وارد، ويجب حينئذ إما رفض عقيدة الاعتراف، أو رفض عقيدة

---

(١) ينظر: المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل، لأبي الفضل المسعودي المالكي ص (١٤١ – ١٤٢).
(٢) من كلام د. محمد وصفي من كتابه: "المسيح والتثليث" ص (١٥٣).
(٣) ينظر: اليهودية والمسيحية ص (٤٣٢).

الصلب بزعمهم أنه كان للفداء عن الخطايا، والوجهان باطلان[1].

وغفران القسيس للذنوب ينقض زعم النصارى أن المسيح يحاسب الناس يوم القيامة، "فإذا ما تسلم المشتري صك غفرانه، ودسّه في محفظته، فقد أبيح له كل محظور، وحل له كل حرام، ماذا عليه لو زنا وسرق وقتل بل لو ألحد وكفر، ما دام الصك رهن يده؟ أليس المسيح هو الذي منحه إياه، والمسيح هو الذي يدين ويحاسب؟ أتراه متناقضاً إلى هذا الحد، يمنح الناس المغفرة ثم يحاسبهم على الذنوب؟"[2].

لقد أدت هذه البدعة إضافة إلى بدعة فداء المسيح –عليه السلام– للناس وتحمله الخطايا إلى مزيد من الانسلاخ عن الشريعة والتدافع إلى الذنوب والخطايا واللهو والشهوات بلا رادع أو زاجر، وما الذي يردعهم أو يزجرهم ما دام أنهم قد ضمنوا الجنة وتطهروا من ذنوبهم السابقة واللاحقة بما اشتروه من الصك؟ إن شراء الصكوك كان في الحقيقة إذناً عاماً وتحريضاً لارتكاب جميع الجرائم، لأن الجنة ضمن لمن يحصل على هذه الصكوك[3].

وكان لوثر – كما تقدم – عندما يتقابل مع الذين يعترفون له على كرسي الاعتراف ويطلب منهم التوبة يخرجون من جيوبهم هذه الصكوك ضاحكين مستهزئين ساخرين، ويلوحون بها في وجهه قائلين: نحن لا نحتاج إلى هذه النصائح!![4].

وفي المقابل لم يصبح لأعمال الخير والإيمان والصلاح عندهم أي قيمة ما دام أن الخطايا السابقة مغسولة بدم الإله – في زعمهم – واللاحقة يغفرها القس[5].

وهذا تعطيل للأعمال، وإرجاء غالٍ أرسى قواعده بولس الذي "لم يزل يهوّن من شأن الشريعة حتى أبطلها بعقيدة الصلب والفداء، ذلك أنه لم يكتف باتخاذ هذه العقيدة تكفيرا وخلاصا من خطيئة آدم الموروثة – بزعمه – بل جعل منها بزخرف

---

(١) ذيل الفارق ص (٧٧٩).

(٢) من العلمانية ص (١١١)، وينظر: الفارق ص (١٤٥، ٢١١).

(٣) ينظر: اليهودية والمسيحية (٤٠١)، وأصول التاريخ الأوربي الحديث (٩٩ – ١٠٠)، والمسيح في القرآن للخطيب ص (٣٧٥).

(٤) ينظر: المصلح مارتن لوثر ص (٦٥).

(٥) ينظر: الفاروق ص (٢٢٥، ٣٥٩).

القول وتشقيق الكلام ذريعة للتحلل من أحكام الشريعة التي كانت مضروبة على بني آدم وسببا لحلول اللعنة عليهم بزعمه، قال: إن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعا في حكم اللعنة... على حين أن الشريعة ليست من الإيمان... إن المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة لأجلنا[1].

لقد أرسى بولس عقيدة الإرجاء[2] لدى النصارى، الذي يجعل الإيمان مجرد المعرفة وفق الفلسفة التالية: البشر مرتهنون بخطيئة أبيهم آدم، وقد أعطى الله لإبراهيم عهدا بالخلاص لذريته من بني إسرائيل لقاء الالتزام بأحكام الشريعة، فمن خالفها فهو ملعون، وبالتالي فأهل العمل بأحكام الشريعة – فضلاً عن الوثنيين – في حكم اللعنة، والعمل الخلاصي الذي قام به المسيح هو أنه قَبِل ميتة الملعون وصار لعنة من أجل البشر، ليحررهم من لعنة الشريعة الناتجة عن الخطيئة، ودفع حياته ثمنا لهذا الخلاص، فصار مجرد الإيمان بيسوع من يهودي أو وثني هو سبب الخلاص دون العمل بأحكام الشريعة، فالإيمان يفتح قلب الإنسان على الحياة التي في المسيح، والشريعة تحبسه في الخطيئة، وتتركه في اللعنة[3].

كما أدت هذه البدعة إلى أن يفضح الإنسان نفسه، ويخبر البابوات والقساوسة وأعوانهم بما اقترفه من أعمال مشينة طوال حياته، ويذكر لنا العلامة الهاشمي جملة من فضائح النصارى، ومنها هذه الفضيحة بقوله: فضيحة أخرى، من النصارى من لا يقبل توبة المذنب ما لم يعترف له بذنوبه، ويقر له بإجرامه، ويشرح ما فعله في طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل وفعل كيت وكيت، ويُعدد الخائر ما ستره الله عليه، ويبدي عورته لهم، فيجد أكابرهم الوسيلة إلى التحكم في ماله والتبسط في ما حواه من دنياه، فيطوفون حوله، ويوظفون عليه ما رأوه لائقا بماله واتساع حاله، ويبقى المثكل في أيديهم وفي قبضتهم طول عمره، وقد أُرّخت عليه سيئاته وخُلِّدت في دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن غيرهم، وعيِّرت بها أولاده وعقبه من بعده جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن، ولقد بلغني عمّن لا أشك في صدقه وثبته أن النصارى عندنا بمصر أرادوا نصب

---

(١) رسالته إلى أهل غلاطية (٣/ ١٠، ١٣).

(٢) سنتكلم عن الإرجاء الغالي في الفصل الثالث.

(٣) من كتاب: "دعوى التقريب بين الأديان"، للدكتور أحمد القاضي (١/ ١٢٩ – ١٣٠)، وأحال فضيلته إلى الشروحات والتعليقات على رسالة بولس – العهد الجديد – (٥٧٥).

رجل من أفضلهم بطريكا عليهم، فبيناهم على ذلك إذ جاء آخر من أكابرهم وذوي الهيبة فيهم، فاعترف أنه وهذا المرشح للبتركة قد فعل كل واحد بصاحبه الفعل المحذور أيام الحداثة، فتصادقا على ذلك، فأفسدوا على النصارى ما راموا من نصب الرجل وتوليته عليهم، وهذا أمر لا أصل له في شريعة، ولا نص عليه قاموس، ولكنه شيء اختلقه الجهلة من مشايخ النصارى اختلاقا، وابتدعوه بعقولهم ابتداعا[1].

ويقول النبهاني[2]: الكلام على الاعتراف، وهو أن يعترف المذنب منهم بذنبه للقسيس ليغفره له، ثم نظم ذلك بقوله:

ومن أقبح الأشياء حسناء غادة[3] * كأن بعينها إذا نظرت سحراً

بها يختلي قسيسها وهو أعزب * شقاشقه[4] من توقه هدرت هدراً

فتعترف الأنثى له بذنوبها * ولو بالزنا سراً ليمنحها الغفرا

ولا جائز منهم هجوم عليهما * ولو بقيا في السر وحدهما شهراً

ورب امرئ من غير قصد عراهما * فشاهد مدهوشاً بعروتها الزرا[5]

ومن لم يكن يُجري اعترافاً كهذه * فذلك أشقى القوم أعظمهم وزراً

فأفٍ لدين يهتك العرض بالرضا * ويوهم رب العرض أن له أجراً[6]

ولا يقتصر الأمر عندهم على اعتراف المذنب بالذنوب على نفسه، بل يطالبونه بفضح

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/٥٩٥ – ٥٩٦).

(٢) هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل، العلامة أبو المحاسن الشافعي النبهاني، ولد سنة (١٢٦٥هـ)، وكان صوفياً أشعرياً جلداً، عفا الله عنا وعنه، وله شعر بديع، توفي سنة (١٣٥٠هـ). ينظر: حلية البشر للبيطار (٣/٤٩٣)، وفهرس الفهارس للكتاني (٢/٤٢٧)، ومعجم المؤلفين (٤/١٤٥).

(٣) أي ناعمة.

(٤) جمع شقشق وهو شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج. القاموس (١١٦٠)، والمقصود سال لعابه من الشوق وارتفع صوته.

(٥) في حاشية الرائية: عراهما غشيها وجاءهما. وعروة القمص ونحوه أخت زره التي يدخل بها، وذلك كنايته عما لا يستحسن التصريح بذكره.

(٦) القصيدة الرائية الكبرى ص (٨٠ – ٨٢) بتصرف.

أبيه وأخيه وأهله وأقربائه، والاعتراف عليهم بما اقترفوه وما لم يقترفوه[1].

* * *

(١) ينظر: أهم عوامل انحراف النصرانية، لإبراهيم التركي ص (١٤٣).

المبحث الثالث

رفض بعض النصارى لهذه البدعة، وثورتهم عليها

منذ أن فرض قسطنطين[1] الديانة النصرانية، ديانة رسمية في مجمع نيقيه في القرن الرابع الميلادي بدأت الكنيسة في ممارسة "الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صوره، ففرضت بطغيانها هذا عقيدة التثليث قهرا، وحرّمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين، وأذاقتهم صنوف التعذيب وألوان النكال، ونصّبت نفسها عن طريق المجامع المقدسة إلها يحلّ ويحرم، ينسخ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي كائنا من كان، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته، لأنه كافر مهرطق"[2].

ثم غدت الكنيسة الكاثوليكية – برعاية البابا – فيما بعد دولة أوربية فوق جميع الدول الأوربية التي يملكها الملوك والأباطرة، وأصبحت تتولى شؤون العبادة والتعليم والزواج والحروب الصليبية، واشتركت اشتراكا فعليا في تصريف شؤون المجتمع الدنيوية[3].

وعزّزت الكنيسة سلطتها الدينية الطاغية بادعاء حقوق لا يملكها إلا الله؛ مثل حق الغفران، وحق الحرمان، وحق التحلّة، فحق الغفران أدى إلى المهزلة التاريخية "صكوك الغفران"، وحق الحرمان عقوبة معنوية بالغة كانت شبحا مخيفا للأفراد والشعوب، حتى والملوك والأمراء، وأما حق التحلة فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت مصلحتها ذلك.

على أن الكنيسة لم تقتصر على هذا بل طبقت عمليا ما يثبت إصرارها على الطغيان، وحشدت الجيوش الجرارة لمحاربة من سولت له نفسه مخالفة آرائها أو اعتنق ما

---

(١) هو قسطنطين الأول واسمه جايوس فلافيوس فاليرموس أوليوس، ولد سنة (٢٧٢م)، وقيل (٢٨٠م)، وكان حكمه نقطة تحول في تاريخ النصرانية، مات سنة (٣٣٧م). ينظر: تاريخ: ابن الوردي (٨٧/١)، وتاريخ الأمة القبطية (٢٢٦ وما بعدها)، والإمبراطورية البيزنطية د. عبد القادر أحمد يوسف ص (١٢)، وهناك كتاب خاص به اسمه: حياة قسطنطين العظيم، تأليف يوسابيوس القيصري وترجمة القمص مرقس داود.

(٢) من العلمانية ص (١٢٨).

(٣) ينظر: حضارة أوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران ص (٣١١).

يخالف عقيدتها، ولا نعني بذلك المسلمين أو اليهود، بل الطوائف النصرانية التي اختلفت مع الكنيسة في قضية من قضايا العقيدة أو الشريعة[1].

وفي المجمع الثاني عشر من مجامع الكنيسة المسمى اللاتيراني الرابع المنعقد سنة ١٢١٥م الذي أقر صكوك الغفران، "تقرر فيه استئصال الهراطقة، ويعنون بذلك كل من يرى رأيا مخالفا للكنيسة، ولو كان رأيا في الكون أو طبائع الأشياء، ولم تكتف الكنيسة بقتل من يجهرون بآراء تخالف آراءها، بل أخذت تنقب على القلوب وتستكنّه خبايا النفوس، وتكشف عن سرائر الناس بما أسماه التاريخ "محاكم التفتيش"، التي دنسّت تاريخ الأديان بما ارتكبت من آثام، وما أزهقت من أرواح، وما سفكت من دماء، وما عذبت من أحياء"[2].

وقد أصبح لدى الكنيسة – بفضل مهازل الصكوك وغيرها – موارد مالية ضخمة، الأمر الذي جعلها موضع حسد الحكام والملوك والأباطرة[3].

وكانت ثروة الكنيسة وتصرفاتها الشاذة، ومن أبرزها إصدار الصكوك أعظم السبب في كفر الناس بها وتمردهم عليها، فعلى الرغم من أن بدعة صكوك الغفران كانت سببا من أسباب قوة الكنيسة، وانتشار سلطتها، وارتفاع منزلة البابوات؛ لكن انقلب السحر على الساحر، وأضحت هذه الصكوك مسمارا في نعش الكنيسة وبداية لنهايتها.

قال ويلز: لقد قضت الكنيسة على هيبتها بعدم مراعاتها لتعاليمها، وكان خاتمة حماقاتها في القرن السادس عشر بيع صكوك الغفران التي بها يمكن افتداء الروح من عذاب المطهر بدفعة مالية، على أن الروح التي دفعت الكنيسة آخر الأمر إلى هذه الفعلة المتبجحة التي كانت نكبة عليها كانت واضحة ملحوظة من قبل في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[4].

وقال الشيخ سفر الحوالي – مبرزا ذلك –: فمن الوجهة الاقتصادية نرى الإقبال

---

(١) ينظر: العلمانية ص (١٢٩ – ١٣٠)، ومعالم تاريخ الإنسانية لويلز (٣/ ٨٩٦).
(٢) من محاضرات في النصرانية ص (٢٠٤).
(٣) ينظر: حضارة أوربا في العصور الوسطى ص (٣١٣).
(٤) معالم تاريخ الإنسانية (٣/ ٩٠٥ – ٩٠٦).

الهائل على شراء الصكوك، أعقبه انكماش وفتور كالذي يصيب أي بدعة أو ظاهرة جديدة بعد فترة من ظهورها، فنضبت الكثير من موارد الكنيسة في حين ازدادت طمعا وشراهة، واضطرت إلى عرض الصكوك بطريقة مبتذلة، فكان الآباء القساوسة يتجولون في الاقطاعيات، ويبيعونها بأسعار مخفضة ثم زهيدة، وكلما ازداد العرض قل الطلب، وتولد لدى الناس شعور داخلي بأن شراءها إضاعة للمال فيما لا فائدة فيه، أو على الأقل فيما ليس مضمون العاقبة... ومن ناحية المكانة الدينية لرجال الدين فقد بدأت تلك الهالة القدسية المحيطة بهم تتبخر شيئا فشيئا بعد زمان من ظهور هذه المهزلة، وابتدأ الناس يعتقدون أنهم كانوا مخطئين في ذلك الاندفاع الأعمى والتسليم الأبله، وعمّق ذلك الاعتقاد تنافس القساوسة على بيع الصكوك مقرونا به سيرتهم السيئة وفجورهم الفاضح، وعجب الناس إذ رأوا كثيراً من الأشرار والطغاة والمجرمين يتبوأون مقاعدهم في الملكوت ببركة الصكوك التي منحها لهم رجال الدين، فكان ذلك إيذاناً بالشك في قداسة رجال الدين أنفسهم، ومدى صلاحهم واستحقاقهم للملكوت في ذواتهم ... لقد كانت صكوك الغفران سببا مباشرا في انبعاث الشرارة الأولى التي اندلعت نيرانها فيما بعد فالتهمت الأوضاع الاجتماعية، وأودت بالتعاليم الكنسية والتقاليد الدينية كافة[1].

إن من أعظم الأسباب التي أدت إلى الثورة على الكنيسة الكاثوليكية وظهور طائفة البروتستانت هي بدعة صكوك الغفران.

ولم يكن البروتستانت بقيادة مارتن لوثر ومن معه هم أول من أنكر هذه البدعة، بل سبقهم غيرهم ومنهم هيوبرت أف رومان رئيس طائفة جماعة الدومنيكان، الذي كتب يهاجم صكوك الغفران بقوله: إن بائعي صكوك الغفران البابوية يفسدون المحاكم الدينية بما يتقبلونه من الرشاوى[2].

كما ظهرت طوائف في جنوب فرنسا عام ١١٧٠م، عارضوا عقيدة صكوك الغفران والمطهر[3].

---

(١) العلمانية ص (١١٧ – ١١٩) بتصرف.

(٢) ينظر: حضارة أوربا في العصور الوسطى (٣١٤)، وقصة الحضارة (٤٩٣/١٦).

(٣) المصدر السابق (٣١٥).

وكان في بعضهم تأثر ببعض مبادئ إريوس[1]، وكانوا يسخرون من عقيدة الاعتراف والصكوك[2].

وفي سنة ١٢١٢م تزعم أحد القساوسة ويدعى القس يوحنا مجموعة من رجال الدين، وأعلنوا عدم إيمانهم بما يسمى بالمطهر والغفران، وهاجموا رجال الكنيسة[3].

وحاول بعض المصلحين في إنجلترا الوقوف أمام سلطات الكنيسة ورفض بدع الغفران والصكوك مثل جون ويكلف[4] الذي كان يقول: إن المسيح والقديسين لم يأتوا إلى الناس بشيء من صكوك الغفران، وإن الأحبار يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة أو وثائق المغفرة، وينهبون بذلك أموالهم، لعنة الله عليهم، وما أشد حماقة من يبتاعون هذه الصكوك بهذه الأثمان الغالية، وطالب أن يحاكم رجال الدين على جرائمهم، وهاجم الكهنة الذين يتملقون الأغنياء ويزدرون الفقراء، والذين لا يترددون في أن يغفروا ذنوب الأثرياء، ولكنهم يحرمون الفقراء من حضيرة الدين،لأنهم لا يؤدون العشور للكنيسة[5].

ومنهم جون هس[6] وقد دفع حياته ثمنا لمعارضته هذه الصكوك وغيرها[7]ومنهم إيرازموس (١٤٦٦ – ١٥٣٦م)، الذي هاجم الكنيسة الكاثوليكية بضراوة، وسخر من

---

(١) هو أريوس بن أصفانوس، كان قسيسا بالإسكندرية، ليبي الأصل، من الموحدين، عاش بين سنة (٢٥٦م) – (٣٣٦م). وكان يقول: الله واحد فرد غير مولود، ولا يشاركه شيء في ذاته، وأن المسيح مخلوق، وكان يدعو إلى التوحيد ونبوة المسيح –عليه السلام–. =وهو الذي عارض قرار مجمع نيقيه بالتثليث. ينظر فيه: الفصل لابن حزم (٤٧/١) (٧٢/٢)، والملل والنحل (١٥)، وقصة الحضارة (٢٠٦/١٢)، وفلسفة الفار الديني بين الإسلام والمسيحية لويس عرديه (٢٨٦/٢ – ٢٨٧)، ومختصر علم اللاهوت، لفرنسيس أيوب (٣٥/٢)، ومحاضرات في النصرانية (١٨٣ – ١٨٤).

(٢) ينظر: حضارة أوروبا في العصور الوسطى (٣١٦ – ٣١٧).

(٣) المصدر السابق ص (٣٢٨).

(٤) أستاذ بريطاني في جامعة أكسفورد، ولد سنة (١٣٢٠م)، ومات سنة (١٣٨٤م)، ينظر: قصة الحضارة (٧١/٢٢، ٧٤).

(٥) ينظر: قصة الحضارة (٨٢/٢٢).

(٦) ولد سنة (١٣٦٩م)، وعارض سلطات البابا وصكوك الغفران وأحرق سنة (١٤١٥م). ينظر: قصة الحضارة (٣٢٩/٢٢، ٣٣٧).

(٧) ينظر: المصدر السابق (٣٣٢/٢٢)، وينظر في جون ويكلف وجون هي: أصول التاريخ الأوروبي الحديث (٩٧)، واليهودية والمسيحية (٤٠٧).

صكوك الغفران[1]، "ولكن دعوات أولئك السلمية لم تفد فائدتها، ولم تنتج ثمراتها، وإن شئت فقل إن تحول الأفكار وانتقال الفكرة إلى الشعوب واصطدام الكنيسة بالمفكرين وبعض الأمراء جعل نقد الكنيسة عنيفا، وجعل خطوات الدعاة أسرع مما يريد أولئك السلميون"[2].

وفي هذه الظروف والملابسات، ولد مارتن لوثر سنة ١٤٨٢م، وقيل ١٤٨٣م من أبوين فقيرين، ولكن أباه أجهد نفسه وأراد أن يحرز ابنه أقصى درجات الثقافة، فأرسله إلى الجامعة، إلا أنه لم يجد من نفسه رغبة كافية في متابعة هذه الدراسة لشدة ميله إلى دراسة اللاهوت، ثم سيطرت عليه نزعة دينية، وكان شديد الورع مبالغا لسيئاته، فأخذه رجال الكنيسة ووضعوه تحت رعايتهم إلى أن عُيّن مدرسا للفلسفة، وقد دفعته النزعة الدينية لأن يذهب إلى روما ويتبرك بلقاء رجال الدين، ولكن ما أن وطئت قدماه أرض روما حتى رأى ما صدمه وأزعج نفسه، فقد توقع أن يرى النسك والعبادة والزهد والتعفف، ولكنه وجد روما المقدسة غارقة في اللهو، ورجالها منغمسين في الرذيلة، زاعمين أن بيدهم مفاتيح الملكوت في السموات والأرض، وأنهم يملكون قبول التوبة، فيغفرون لمن يشاءون ما يشاءون، فأصيبت نفس مارتن لوثر بصدمة عنيفة، وبدأ يعلن براءته من تصرفات رجال الكنيسة، ويدعو إلى إنكار عصمة البابا وحقه في إصدار صكوك الغفران، ويقول: إن أحدا من الخلق مهما بلغ من القدسية لا يملك حق الغفران لأحد، ولا أن يستر ذنبا قد ارتكبه، فبدأ العامة والخاصة يتأثرون بدعوته، لأنه أوتي من الحجج والبراهين ما لم يؤت أحد من قساوسة زمانه، ولم تكن الكنيسة صامتة أمام هذه الثورة الجديدة التي كانت أشد في لهجتها وأهدافها من الثورات السابقة، فطلبته للمحاكمة لخروجه على البابا المقدس المعصوم، فلم يجب دعوة البابا، ولم يحضر للمحاكمة أمامه؛ لأن بعض الأمراء ساندوه، فلم يجد البابا بُدّا من إصدار قرار بحرمانه من جميع المناصب الدينية، وكذلك أصدر الإمبراطور قرارا بحرمانه من جميع الحقوق المدنية، فاشتد غضب لوثر على تصرفات البابا، وبدأ ينادي بالجهاد ضد استبداد الكنيسة علنا، ومن هنا سميت هذه

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتر اندرسل ص (٤٠ – ٤١)، ومحاضرات في النصرانية ص (٢١٥).
(٢) من محاضرات في النصرانية ص (٢١٦).

الفرقة: "البروتستانت" أي المحتجين على تصرفات البابا إلى أن مات لوثر سنة ١٥٤٦م[١].

وممن ظهر في ذلك الوقت كل من زونجلي السويسري (١٤٨٤م – ١٥٣١م)، وحنا كلفن الفرنسي (١٥٠٩م – ١٥٦٤م)، وآراؤهم في إنكار صكوك الغفران والثورة على الكنيسة الكاثوليكية لأجلها قريبة من آراء لوثر[٢].

كان مارتن لوثر يرى أنه ليس من المعقول التخلص من الخطايا بشراء الصكوك[٣].

ولقد أثارت التصاريح الحمقاء لحنا تتزل – وقد تقدم ذكرها – السخط في نفس لوثر، فقام في ٣١ أكتوبر سنة ١٥١٧م يوم الاحتفال بذكرى تدشين كنيسة وتنبرج بتعليق احتجاج مفصل على باب الكنيسة من خمس وتسعين حجة ضد صكوك الغفران، وأن البابا يمنح الغفران للناس ولا يستطيع شراءه لنفسه، فتلك صفة إلهية لا يجب اقتباسها، وقد جعلها لنفسه، وأوضح لوثر أن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد.

وكان احتجاجه باللغة اللاتينية إلى العلماء لمناقشتها والنظر فيها، لا إلى عامة الشعب، ولكن سرعان ما ترجم إلى اللغة الألمانية، وانتشر في طول ألمانيا وعرضها، وهذه بعض بنود الاحتجاج:

١. إن الله هو الذي يغفر الخطايا، وإن الإنسان لا يستطيع أن يشتري الغفران وخلاص نفسه بمبالغ معينة من المال، وأن الأعمال الصالحة لازمة، ولكنها لا تخلص الإنسان، وهي ثمرة الإيمان.
٢. إن الكتاب المقدس هو دستور حياتنا، وهو فوق تقاليد الكنيسة، إننا نقبل التقاليد إذا كانت لا تتعارض مع ما يعلمه الكتاب المقدس.

---

(١) ينظر: اليهودية والمسيحية (٤٠٧ – ٤٠٨)، ومحاضرات في النصرانية (٢١٦)، والديانات والعقائد (٣/ ٥٢٤، ٥٢٨)، والأسفار السابقة (١٢٤)، وأصول التاريخ الأوربي الحديث (٩٩)، والنصرانية لعرفان عبد الحميد (١٣٢).

(٢) ينظر: محاضرات في النصرانية ص (٢٢٠ – ٢٢١)، والأسفار السابقة (١٢٤)، وأصول التاريخ الأوربي الحديث (١١٢ – ١١٣).

(٣) ينظر: أصول التاريخ الأوربي الحديث ص (١٠٠).

٣. إن الأسرار المقدسة اثنان وليس سبعة؛ لأن المسيح لم يرسم إلا سرين مقدسين هما المعمودية والعشاء الرباني.

٤. عندما قال ربنا وسيدنا يسوع المسيح: "توبوا"، أراد بذلك أن تكون حياة المؤمن كلها توبة مستمرة.

٥. لا يستطيع البابا – حتى لو أراد – أن ينقذ الإنسان من عقوبة قانون إلا ما سنه هو نفسه بمحض إرادته.

٦. ضلّ الذين يقولون بأن صكوك البابا تخلص الإنسان من كل عقاب.

٧. ضلّ الذين يقولون بأنه متى رنّت النقود في صندوق الجمع تخلص النفس من المطهر منطلقة نحو السماء.

٨. ضلّ الذين يتوهمون بأنهم في أمان بسبب الغفران، فإنهم مع تعاليمهم هالكون.

٩. إن المسيحي الحقيقي الذي يترك خطاياه بقلب منسحق نادم، تغفر خطاياه ولا حاجة إلى صكوك الغفران.

١٠. على المسيحي أن يفهم حقيقة أن الذي يحسن إلى مسكين أو يقرض محتاجاً يقوم بعمل أفضل من شراء صك غفران.

١١. إن كنز الكنيسة الثمين هو إنجيل نعمة الله ومجده المقدس[١].

ونتيجة لهذا الهجوم من جانب لوثر أصدر البابا ليو العاشر[٢] في ديسمبر سنة ١٥٢٠م قرار الحرمان ضد لوثر، وذلك لأن آراءه جعلت منه مارقا على المسيحية، وكان جواب لوثر على ذلك أن نشر رسالته الثانية مظهرا ضعف البابوية وفساد الكنيسة، وقام بحرق قرار الحرمان علنا في ساحة كنيسة وتنبرج، وفي يناير ١٥٢١م استدعي لوثر للمثول أمام أول مجمع إمبراطوري لمناقشة آرائه، وأصر لوثر في هذا المجمع على آرائه، فاعتبر خارجا على السلطة، وحرم من حقوقه المدنية.

---

(١) ينظر: المصلح مارتن لوثر ص (٦٩ – ٧٠)، وأصول التاريخ الأوربي الحديث ص (١٠٠–١٠١)، وحركة الإصلاح الديني في ألمانيا للمطران داود صدار على الموقع العربي الأول عن المصلح مارتن لوثر (قسم ٤، فصل ٨، بتاريخ ١٠ مارس ٢٠٠٩م).

(٢) هو البابا لاون العاشر المعروف بليو، تولى البابوية سنة (١٥١٣م)، ومات سنة (١٥٢٢م)، ينظر: دائرة معارف بطرس البستاني (٥/ ٩).

على السلطة، وحرم من حقوقه المدنية.

وقد طلب المجمع من لوثر العدول عن هرطقته، فكان جوابه: لا يمكنني العدول أو التراجع عن كل ما كتبته أو قلته إلا بشرط واحد هو أن يبين لي أحدكم أن أقوالي وكتاباتي تناقض الكتب المقدسة أو تناهض مبادئ العقل والضمير، أو تثبتوا لي بأنها غير سليمة أو غير مستقيمة، وأنهى كلمته بالقول: ما عدا ذلك لا يمكنني التراجع عن آرائي أو العمل بخلافها، على هذا عاهدت نفسي، وسأكون على العهد مقيما[1].

ومما هو جدير بالذكر أن نبين أن لوثر لم يرد – بهذه الاحتجاجات والتصرفات – هدم الكنيسة الكاثوليكية، قال القس حنا جرجس – في رصده بعض الحقائق عن احتجاجات لوثر –:

الأمر الثالث: المكان، لقد وضع لوثر هذه الاحتجاجات في المكان الذي كانت تعلق فيه إعلانات الكنيسة، وقد أراد لوثر بهذه الحركة أن يعلن للكنيسة عامة بأنه في الكنيسة، بل ومن أجلها يقوم بهذا العمل، ولم يسمح لنفسه بأن يهاجم الكنيسة، ولم يخطر على باله حتى تلك اللحظة أو في أي لحظة أن يترك الكنيسة أو يهاجمها أو أن يندد بتعاليمها، بل كان يحبها ويحترمها، ولهذا السبب فقد كتب في هذه الاحتجاجات يقول: ونحن لا نريد أن نقول أي شيء أو نعتقد بأي شيء لا يتفق وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية، ربما أن لوثر لم يفكر قط في الانفصال عن الكنيسة ولم يكن يريد إلا إصلاحها من الداخل، فقد قام بكتابة هذه النقاط[2].

وقال العلامة أبو زهرة: لم يكن لوثر من الغلاة الذين يرمون إلى هدم الكنيسة، ولا إلى محاربة سلطانها، بوصف كونها مرشدة وواعظة ومبينة للناس شؤون دينهم، ولكنه كان يريد إصلاح حال الكنيسة ورجالها، وحملهم على الجادة، وإعطاءهم من الحق ما أعطته الكتب المقدسة ووصايا رسلهم والمأثور عنهم، وهو لم ينظر إلى البابا على أنه خليفة المسيح لا يخطئ، ولا يأتي الباطل على قوله، بل نظر إليه على أنه كبير المرشدين الواعظين[3].

---

(١) ينظر: أصول التاريخ الأوربي الحديث ص (١٠١ – ١٠٢).
(٢) المصلح مارتن لوثر ص (٦٧).
(٣) محاضرات في النصرانية ص (٢١٩).

وبالتالي فإن آراء لوثر ومن بعده من البروتستانت لا تقل خطرا عن آراء الكنيسة الكاثوليكية، فهي على سواء معها في البواعث والعواقب والوسائل، فذهب لوثر إلى أن الحق مع الدولة لأنها حارسة الإيمان، ومن الفروض الواجبة طاعتها في كل شيء، لأن بيدها زمام الدين والدنيا، وعلى الدولة أن تخمد أنفاس الإلحاد والكفر، لأنهما من رجس الشيطان، ولابد من القضاء عليه رغبة في الإيمان والتطهير، بل ذهبت به القسوة إلى حد الحكم بقتل من ينكر وجوب تعميد الأطفال.

وكانت زوايا ومناطق في عقل لوثر تحتلها الخرافة والأوهام، فكان يرى الأمراض من فعل الشياطين، وعلاجها طردها ولا يطردها إلا رجال الدين، أما الطب العلمي فما يعترف به.

فحركة لوثر لم تقم من أجل تحرير الناس من الاضطهاد، بل قررته، حتى إذا قاد الحركة حنا كلفن زاد التعصب، وأصبحت القسوة العنيفة طابعها، وخالف سلفه في منح السلطة للحاكم المدني، بل ادعاها للكنيسة ليشيد صرح الحكومة الإلهية، لأن الكنيسة هي صاحبتها الشرعية، وليس لأحد مخالفتها، واستطاع كلفن أن يؤسس في جنيف الحكومة الإلهية التي دعا إليها، وقضى على الحرية قضاءً، وحارب كل مذهب يخالف مذهبه، وكل إنسان يعلن رأيا لا يتفق مع رأيه، كما فعل مع الكاتب الأسباني ميكائيل سرفيتوس (١٥١١م – ١٥٥٣م)، الذي كتب مقالا نقد فيه بدعة التثليث، وهرب من أسبانيا خوفا على نفسه، وذهب إلى جنيف، حيث وقع في قبضة كلفن، فاتهمه بالإلحاد، وأحرقه حيا سنة ١٥٥٣م[1].

ونشر أصحاب كلفن أن إحراق الملحد سرفيتوس سيكون المصباح الذي يهدي الأجيال القادمة، ولكن الأجيال القادمة لم تهتد بذلك المصباح، بل رأته خزيا وعارا وظلمة قاتمة، وإذا هي تتوارى حجابا من الخجل والحياء، ففي أوائل القرن العشرين سنة ١٩٠٣م، أقام البروتستانت أنفسهم من أتباع كلفن نفسه نصبا تذكاريا في جنيف لذكرى سرفيتوس الأليمة رجاء الصفح عن مُصلحهم العظيم الذي اقترف جريمة شنعاء كان عصره هو المسؤول عنها والدافع إليها، وهذا اعتراف الأجيال القادمة

(١) ينظر: قصة الحضارة (٢٣/٤٤٤، ٤٥٠، ٤٥٣).

بجريمة متبوعهم، ومهما اعتذروا فهو المسؤول عنها أمام الله[1].

وإننا إن نظرنا لبعض المبادئ الإصلاحية التي نادى بها لوثر، والتي كانت أوربا وقتها في عصور الظلام والانحدار، نجد أن الإسلام قد قررها قبل مجيء لوثر بتسعمائة عام، فمثلا يقرر البروتستانت أن البشر غير معصومين عن الخطأ، وإن البابوات ليسوا مقدسين، وفي الإسلام ليس هناك – خلاف الأنبياء – من هو معصوم عن الخطأ.

وعند البروتستانت ليس للبابوات أية سلطة على البرزخ وأن نظام الغفران الذي ابتكرته الكنيسة ليس سوى مظهر من مظاهر الفساد البابوي، والغفران في الإسلام لله وحده لا شريك له – كما سيأتي تفصيلا – وعند البروتستانت لأي مسيحي أيا كان الاطلاع على الكتاب المقدس بلا تدخل من الكهنة، والإسلام يفرض على كل مسلم ومسلمة قراءة وتدبر معاني القرآن، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[2]، وعند البروتستانت الكتاب المقدس هو أساس الشرع، والإسلام يعتبر الكتاب وما يتبعه من مصادر أساس التلقي، وعند البروتستانت: الزعم بأن البابا هو الوحيد الذي يعلم معاني الكتاب المقدس غير صحيح، وفي الإسلام عكف المسلمون منذ صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر على كتابة العديد من التفسيرات للقرآن الكريم.

وعند البروتستانت: ليس للكنيسة أن تكون وسيطا بين الله والبشر، وفي الإسلام الصلاة وسائر أنواع العبادة لله وحده بدون وسائط أو شفعاء.

وعند البروتستانت: الكهنوت ليس حكرا على طبقة من الناس، ويمكن لأي مسيحي أن يكون كاهنا، وليس في الإسلام كهنوت، كل طالب علم يمكن أن يكون عالما وقاضيا وفقهيا وغير ذلك من المبادئ[3].

وقد حاول الأستاذ أمين الخولي[4] الربط بين إصلاح البروتستانت وبين الإسلام ببحث عنوانه: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، قدمه إلى مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس

---

(١) ينظر: الديانات والعقائد (٣/٥٣٠ – ٥٣١).

(٢) سورة محمد: الآية (٢٤).

(٣) ينظر: المسيحية والإسلام والاستشراق لمحمد فاروق الزين ص (٢٨٨ – ٢٩٠).

(٤) ولد سنة (١٣١٣هـ)، وتوفي بالقاهرة، سنة (١٣٨٥هـ). ينظر: الأعلام (٢/١٦)، وتاريخ آداب اللغة العربية (٤/٢٣٣).

المنعقد في بروكسل من ١٦ إلى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥م، وأثبت فيه الاتصال المادي والمعنوي بين الإسلام والمسيحية في أوربا عن طريق الحروب الصليبية، وتبادل الأسرى، والفتح الإسلامي، واختلاط الجند، واستعانة المسلمين بغيرهم في مرافق الدولة وأعمال الحكومة، واستعانة غيرهم بهم، والوفود التي تفد من الجانبين للصلح وتقرير العلاقات وتبادل التجارات، وذكر حركة نقل المصادر والمعارف والعلوم الإسلامية وترجمتها، ومنها القرآن الكريم واللغة العربية، وعناية الملوك والأمراء ورجال الدين بهذه العلوم والتأثر بهم.

قال العلامة المراغي[1] – في تقديمه لهذا البحث –: لكن ربط حركة الإصلاح المسيحي خاصة بالدين الإسلامي والمعارف الإسلامية من فلسفة وتصوف وما إلى ذلك يتطلب بلا شبهة إقامة الشواهد ونصب الأدلة، وهذا ما حاوله الأستاذ الخولي في رسالته، ويجدر بنا أن نشير هنا إلى جملة حكيمة قالها الأستاذ في الرسالة وهي: أننا حين نفسر هذا الاتصال وذلك التأثر لا نزعم أنه هو وحده الذي خلق حركة الإصلاح المسيحي، وأنه سببها الأول والأخير، بل نقدر ما هنالك من أسباب وعوامل اجتماعية ودينية وغيرها قد عملت عملها وتركت أثرها، ودفعت الحياة إلى ذلك الاتجاه، فلفتتها إلى الناحية العقلية والدينية، التي قرّبها لها وقدّمها بين يديها ذلك الاتصال بالشرق الإسلامي، فمقصدنا العلمي إنما هو إلقاء الضوء الكافي على الجانب التاريخي من اتصال الدينين المسيحي والإسلامي، ببيان هذا الاتصال وأثره.

فهذه الكلمة الصادرة عن نزاهة في البحث، وعن اعتدال في تقدير الأشياء تدفع ما قد يظن أنه يوجه إلى البحث من نقد، فالأستاذ لا يدعي أن الإصلاح المسيحي ثمرة مباشرة للمعارف الإسلامية، تفردت تلك المعارف بإيجادها، ولولاها لما وجد الإصلاح، بل يصرح بأن الإصلاح كان نتيجة لعوامل كثيرة اجتماعية ودينية وغيرها، وغاية الأمر أن المعارف الإسلامية كانت تحمل العناصر التي يمكن أن تصاغ منها أمنية المصلحين، وأنها جذبت الأبصار إليها، ووجهت العقول نحوها، وخلقت مزاجا أعانهم على ما اختاروه.

---

(١) هو العلامة محمد مصطفى المراغي، ولد سنة (١٣١٩هـ)، بسوهاج بمصر، وعين شيخا للأزهر سنة (١٣٤٦هـ)، توفي سنة (١٣٦٣هـ). ينظر: المجددون في الإسلام ص (٤١١).

ثم قال المراغي: وعد الأستاذ الخولي من الآثار الخاصة فكرا بعينها من أصول الإصلاح البروتستانتي منها: رفض السلطة الكنسية للبابا والمجامع، وهذه السلطة تشمل: مسألة الاعتراف ومسألة الغفران... هذه الأصول التي وجدت في الإسلام جاء بها الإصلاح المسيحي، فهل الإسلام هو الذي قدمها للمصلحين كما يقول الأستاذ الخولي؟ أو من الممكن أن يكون سببها الرجوع إلى المسيحية قبل أن تشيع فيها البدع، وقبل أن تخلق الكنيسة رسومها التي سيطرت بها على الناس، وحاطتها بسياج من التقديس؟ كل هذا ممكن، ومن المرجح في مسألة بيع الغفران أن الإصلاح فيها كان رجوعا إلى المسيحية، واتباعاً لنص الإنجيل، ولكن ما الذي لفت النظر إلى الرجوع لمصادر المسيحية؟ أهو العقل وحده؟! أو هو ما قدمه الإسلام من علم ومعرفة؟ يستوي الأمر عندي فيه، ومؤرخ الأديان من حقه أن يلحظ الصلة، وأن تقوى عنده سببية ما قدمه الإسلام[1].

* * *

(١) مقدمة بحث الخولي: صلة الإسلام بإصلاح المسيحية ص (٧ – ٨)، وص (١٠ – ١١)، وذكر الخولي في خاتمة بحثه أن الأستاذ محمد عبده كان يضع عناوين فرعية على رسالته: "التوحيد"، للفصل الخاص بانتشار الإسلام وعنونهما: "الحروب الصليبية واستفادة أوربا من المسلمين"، "واستفادة أوربا من الإسلام"، لكن في الطبعة السابقة التي أرخها بعام ١٣٥٣هـ، استغنى عن هذين العنوانين بعنوان جديد نصه: اقتباس الإصلاح الديني في أوربة من الإسلام، وورد في الرسالة تحت هذا العنوان ما عبارته: ولم يكن بعد ذلك إلا قليلا من الزمن حتى ظهرت طائفة منهم تدعو إلى الإصلاح والرجوع بالدين، وجاء في إصلاحها بما لا يبعد عن الإسلام إلا قليلا، بل ذهب بعض طوائف الإصلاح في العقائد إلى ما يتفق مع عقيدة الإسلام إلا في التصديق برسالة محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–. الخاتمة ص (٧٩ – ٨٠).

الفصل الثالث

الغفران في الإسلام

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول:** صفة المغفرة لله تعالى، وغفران الذنوب في الإسلام.
- **المبحث الثاني:** دعوى وجود صكوك غفران في الإسلام ونقضها.

المبحث الأول:

صفة المغفرة لله تعالى، وغفران الذنوب في الإسلام

صفة المغفرة والغفران لله تعالى صفة فعلية[1] ثابتة لله –عز وجل–، بالكتاب والسنة، والأدلة كثيرة على إثبات هذه الصفة لله – عز وجل –، نذكر منها:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

قال القرطبي[3]: ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله[4].

وقال ابن كثير[5]: أي لا يغفرها أحد سواه، ثم ساق حديث الأسود بن سريع – رضي الله عنه –أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– أُتي بأسير فقال: اللهم إني أتوب إليك، ولا أتوب إلى محمد، فقالّ –صلى الله عليه وسلم–: "عرف الحق لأهله"[6].

---

(١) تنقسم الصفات من حيث تعلقها بذات الله وأفعاله إلى قسمين: **الأول: الصفات الذاتية**، وهي التي لا تنفك عن الذات، بل هي لازمة لها أزلا وأبدا، وذلك كالحياة والعلم والقوة والملك والعظمة والكبرياء والوجه والقدم ونحو ذلك. **الثاني: صفات فعلية**، وهي المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالنزول والغضب والفرح والضحك والمغفرة ونحو ذلك، وتسمى: الصفات الاختيارية. ينظر: القواعد المثلى للعثيمين ص (٥)، وشرح الهراس للواسطية (١٠٥– ١٠٦)، ومختصر الصواعق المرسلة للموصلي (٤٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٣٥).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، العلامة أبو عبد الله الخزرجي الأندلسي المالكي القرطبي، توفي سنة (٦٧١هـ). ينظر: نفح الطيب للمقري (٢٢١/٧)، والديباج (٣١٧)، والشذرات (٣٣٥/٥).

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن). (٣٢٥/٥).

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، العلامة الكبير عماد الدين أبو الفداء الشافعي، ولد سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي سنة (٧٧٤هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣٧٣/١)، والبدر الطالع (١٥٣/١)، والشذرات (٢٣١/٦)، ومعجم المؤلفين (٣٧٣/١).

(٦) تفسير ابن كثير (١٩٦/٣– ١٩٧)، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٤٣٥/٣)، والحاكم (٢٥٥/٤)

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[1]. قال الطبري[2]: يقول: إن الله يستر على الذنوب كلها، بعفوه عن أهلها، وتركه عقوبتهم عليها إذا تابوا منها، إنه هو الغفور الرحيم بهم، أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن قيل: قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾، معه عموم على وجه الإخبار فدل على أن الله يغفر كل ذنب، ومعلوم أنه لم يرد أن من أذنب من كافر وغيره فإنه يغفر له، ولا يعذبه في الدنيا ولا في الآخرة، فإن هذا خلاف المعلوم بالضرورة والتواتر والقرآن والإجماع[4].

وقال تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾[5]. فمع جلالة قدر وشرف منزلة المصطفىّ –صلى الله عليه وسلم– عند الله "أخبر الله سبحانه رسولهّ –صلى الله عليه وسلم– بأن صدور الاستغفار منه للمنافقين وعدمه سواء، وذلك لأنهم ليسوا بأهل لاستغفارهّ –صلى الله عليه وسلم–، ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، وفيه بيان لعدم المغفرة من الله سبحانه للمنافقين وإن أكثر النبيّ –صلى الله عليه وسلم– من الاستغفار لهم"[6].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ ﴿٤٨﴾﴾[7]، "أي: لا يغفر

وصححه، والطبراني في الكبير (٨٣٩)، (٨٤٠)، والبيهقي في الشعب (٤٤٢٥)، والضياء في المختارة (١٤٥٨، ١٤٦٠)، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه محمد بن مصعب، وثقه أحمد وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح، المجمع (١٩٩/١٠)، وفي الإسناد علة أخرى وهي أن الحسن البصري لم يسمع من الأسود كما في تخريج الأرنؤوط لمسند أحمد (٣٥٣/٢٣)، وقد ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٧٠٧)، ويغني عن هذا الحديث ما سيأتي من أحاديث صحيحة في إثبات صفة المغفرة لله.

(١) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، الإمام العلم أبو جعفر الطبري، ولد سنة (٢٢٤هـ)، وتوفي سنة (٣١٠هـ). ينظر: السير (٢٦٧/١٤)، وتاريخ بغداد (١٦٢/٢)، ووفيات الأعيان (١٩١/٤)، والشذرات (٢٦٠/٢).

(٣) تفسير الطبري – جامع البيان – (٢٣١/٢٠).

(٤) التفسير الكبير (٤٣/٦).

(٥) سورة التوبة، الآية (٨٠).

(٦) من تفسير الشوكاني – فتح القدير – (٤٠٥/٢).

(٧) سورة النساء: الآية (٤٨).

لعبد لقيه وهو مشرك به، ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، أي: من الذنوب، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ أي: من عباده"[1].

والآيات في إثبات صفة المغفرة لله تعالى كثيرة جدا[2].

ومن أسماء الله تعالى: "الغفار" و"الغفور". قال –عز وجل– ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾[3]، وقال ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾[4]، وقال: ﴿وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾[5]، وقال: ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾[6]، وقال ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[7]، وقال: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾[8]، وقال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[9]، وغيرها من الآيات الدالة على ذلك.

وجاء في السنة النبوية المطهرة إثبات صفة المغفرة لله –عز وجل– في أحاديث كثيرة، منها: ما في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن عبدا أصاب ذنبا وربما قال: أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا، فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا وربما قال: أصاب ذنبا فقال: ربّ أصبت – أو أذنبت – آخر فاغفر لي، فقال: أعلم عبدي

---

(١) من تفسير ابن كثير (٤/ ٩٩).

(٢) ينظر على سبيل المثال: سورة البقرة (٢٨٤)، وآل عمران (٣١، ١٢٩)، والنساء (١٣٧، ١٦٨، ١١٦)، والمائدة (١٨، ٤٠)، والأنفال (٢٩، ٧٠)، والأعراف (١٤٩)، والأحزاب (٧١)، ويوسف (٩٢)، وإبراهيم (١٠)، وطه (٧٣)، والشعراء (١، ٨٢)، والنور (٢٢)، والأحقاف (٣١)، ومحمد (٣٤)، والفتح (٢، ١٤)، والمنافقون (٦)، والحديد (٢٨)، والصف (١٢)، والتغابن (١٧)، ونوح (٤) وغيرها.

(٣) سورة ص: الآية (٦٦).

(٤) سورة الزمر: الآية (٥).

(٥) سورة غافر: الآية (٤٢).

(٦) سورة القصص: الآية (١٦).

(٧) سورة يونس: الآية (١٠٧).

(٨) سورة يوسف: الآية (٩٨).

(٩) سورة الحجر: الآية (٤٩).

أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء"[1].

قال ابن المزين[2] – في شرحه الحديث –: لا غافر للذنوب سواه[3].

ومعنى: "فليعمل ما شاء"، ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك[4].

وفي الصحيح عن أبي هريرة أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– قال: "والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم"[5].

قال ابن المزين: وحاصل هذا الحديث أن الله تعالى سبق في علمه أنه يخلق من يعصيه فيتوب، فيغفر له، فلو قُدِّر ألا عاصي يظهر في الوجود لذهب الله تعالى بالطائفين إلى جنته، ولخلق من يعصيه فيغفر له، حتى يوجد ما سبق في علمه، ويُظهر من مغفرته ما تضمنه اسمه الغفار، ففيه من الفوائد رجاء مغفرته، والطماعية في سعة رحمته[6].

وفي الصحيح أيضا عن ابن عمر – رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– يقول: "يدني المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل... فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: أي رب، أعرف، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم"[7].

وقالّ –صلى الله عليه وسلم–: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير"[8].

وعن أبي ذر–رضي الله عنه– عن رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "إن الله يقول: يا عبدي، ما عبدتني ورجوتني، فإني غافر لك على ما كان فيك، ويا عبدي، لو

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر، العلامة أبو العباس المالكي القرطبي، المعروف في بلاده بابن المزين، ولد سنة (٥٧٨هـ)، وتوفي سنة (٦٥٦هـ). ينظر: نفح الطيب (٥/٢)، وحسن المحاضرة (٢٦٠/١)، والبداية والنهاية (٣٨١/١٧)، والشذرات (٢٧٣/٥).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٨٦/٧)، ونقله ابن حجر في الفتح (٤٧١/١٣ – ٤٧٢).

(٤) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤٧٢/١٣).

(٥) صحيح مسلم (٢٧٤٩).

(٦) المفهم (٨١/٧).

(٧) صحيح مسلم (٢٧٦٨).

(٨) صحيح مسلم (١٢٥) عن أبي هريرة.

لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي شيئا، لقيتك بقرابها مغفرة"[1].

وغيرها من الأحاديث الدالة على إثبات صفة المغفرة لله تعالى وحده لا شريك له.

ونحو صفة المغفرة لله تعالى: صفة العفو، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[2]، وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[3]، وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه– قال: إن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– صلى على جنازة فقال: "اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه..."، حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت[4]، وعن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– قالت: فقدت رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– ليلة من الفراش فالتمسته وهو يقول: "اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك..."[5].

والعَفُوّ كما قال ابن الأثير[6]: "من أسماء الله، وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس، وهو من أبنية المبالغة، يقال: عفا يعفو عفواً، فهو عافٍ وعَفُوٌّ"[7].

وقال الغزالي[8]: والعفو صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه، فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٥٤)، والبيهقي في الشعب (١٠٤١)، وابن مردويه كما في تفسير السيوطي (٤/ ٤٧٤)، وقد حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٥٠) (١٢٧)، والأرنؤوط في تحقيق مسند أحمد (٣٥/ ٢٩٦).

(٢) سورة النساء: الآية (٤٣).

(٣) سورة التوبة: الآية (٤٣).

(٤) صحيح مسلم (٩٦٣).

(٥) صحيح مسلم (٤٨٦).

(٦) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، العلامة مجد الدين أبو السعادات الشهير بابن الأثير الجزري، ولد سنة (٥٤٤هـ)، وتوفي سنة (٦٠٦هـ). ينظر: السير (٢١/ ٤٨٨)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٤١)، وطبقات السبكي (٥/ ١٥٣)، والشذرات (٥/ ٢٢).

(٧) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٦٥)، وينظر في المعنى اللغوي للعفو: تهذيب اللغة (٣/ ٢٢٢)، والعين (٢/ ١٢٤٠)، والصحاح (٦/ ٢٤٣٣)، والقاموس (١٦٩٣).

(٨) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، العلامة أبو حامد الغزالي الشافعي، ولد سنة (٤٥٠هـ)، وتوفي سنة (٥٠٥هـ). ينظر: السير (١٩/ ٣٢٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٦)، وطبقات السبكي (٦/ ١٩١)، والشذرات (٤/ ١٠).

الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر، وحظ العبد من ذلك لا يخفى، وهو أن يعفو عن كل من ظلمه بل يحسن إليه، كما يُرى الله تعالى محسنا في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة، بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم، إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وهذا غاية المحو للجناية[1].

وقال الكفوي: العفو: كف الضرر مع القدرة عليه، وكل من استحق عقوبة فتركها فهذا الترك عفو[2]، وقال – أيضاً –: العفو عن الذنب يصح رجوعه إلى ترك ما يستحقه المذنب من العقوبة، وإلى محو الذنب، وإلى الإعراض عن المؤاخذة كما يعرض المرء عما يسهل على النفس بذله[3].

فتعريف العفو إذن – كما قال البعلي[4] –: الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء[5].

قال ابن القيم:

وهو العفو فعفوه وسع الورى * لولاه غار الأرض بالسكان[6]

ويبرز لنا العلامة الكفوي الفرق بين العفو والغفران وعلاقتهما ببعض المرادفات بقوله: والغفران يقتضي إسقاط العقاب ونيل الثواب، ولا يستحقه إلا المؤمن، ولا يستعمل إلا في الباري تعالى.

والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذم، ولا يقتضي نيل الثواب، ويستعمل في العبد أيضا كالتكفير حيث يقال: كَفّر عن يمينه، والستر أخص من الغفران، إذ يجوز أن يستر ولا يغفر، والصفح التجاوز عن الذنب، والمحو أعم من العفو والغفران، والغفران في الآخرة فقط،

---

(١) المقصد الأسنى ص (١٤٠).

(٢) الكليات ص (٥٣).

(٣) الكليات ص (٦٣٢).

(٤) هو محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، العلامة شمس الدين أبو عبد الله الحنبلي، ولد سنة (٦٤٥هـ)، وتوفي سنة (٧٠٩هـ). ينظر: الدرر الكامنة (١٤٠/٤)، والوافي بالوفيات (٣١٦/٤)، والشذرات (٢٠/٦)، ومعجم المؤلفين (٥٨٠/٣).

(٥) المطلع على أبواب المقنع ص (١٥٦).

(٦) النونية بشرح ابن عيسى (٢٢٧/٢)، وقوله: لغار الأرض، لكثرة من يرتكب المعاصي على ظهرها.

والإحسان في الدنيا والآخرة[1].

وقال – في موضع آخر –: والعفو: إسقاط العقاب، والمغفرة ستر الجرم صونا عن عذاب التخجيل والفضيحة، والعفو قد يكون قبل العقوبة وقد يكون بعدها، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة ألبتة، ولا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده[2].

وقد حكى العلامة ابن حزم اتفاق العلماء على أن الله يغفر لمن يشاء[3].

وإسقاط العقوبة عن المذنب يكون بأسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة – كما قاله ابن أبي العز –[4]، وهذه الأسباب:

١. التوبة: قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾[5]، والتوبة النصوح وهي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، وكون التوبة سببا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سببا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

٢. الاستغفار: قال تعالى﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾[6]، والتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وعند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى؛ فالاستغفار طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

٣. الحسنات، فإن الحسنة بعشر أمثالها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[7].

٤. المصائب الدنيوية، قال ﷺ –صلى الله عليه وسلم–: "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا همّ ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه"[8].

---

(١) الكليات ص (٦٦٦ – ٦٦٧).

(٢) الكليات ص (٦٣٢).

(٣) مراتب الإجماع ص (١٩٦ – ١٩٧).

(٤) هو علي بن علي بن محمد بن محمد بن صالح بن أبي العز، العلامة صدر الدين أبو الحسن، الشهير بابن أبي العز الحنفي، ولد سنة (٧٣١هـ)، وتوفي سنة (٧٩٢هـ). ينظر: إنباء الغمر لابن حجر (٢/ ٩٥)، والشذرات (٦/ ٣٢٦)، ومقدمة تحقيق شرح العقيدة الطحاوية ص (٦٧).

(٥) سورة مريم، الآية (٦٠)، والفرقان، الآية (٧٠).

(٦) سورة الأنفال: الآية (٣٣).

(٧) سورة هود: الآية (١١٤).

(٨) تقدم تخريجه ص (٥٢).

٥. ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة، فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

٦. دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات، قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾[1]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[2]، وتقدم حديث دعاء النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لأحد الصحابة[3].

٧. ما يهدى إلى الميت بعد الموت من ثواب وصدقة أو قراءة أو حج ونحو ذلك، قالّ –صلى الله عليه وسلم–: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعوله، أو علم ينتفع به من بعده"[4].

٨. أهوال يوم القيامة وشدائده.

٩. ما جاء في الصحيح: "أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أُذن لهم في دخول الجنة"[5].

١٠. شفاعة الشافعين.

١١. رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد، كما قال عز وجل: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾[6].

ومما ينبغي أن يعلم أنه "ليس في الإسلام خطيئة موروثة تحتاج إلى إله أو نبي يقوم بتكفيرها، فكل نفس بما كسبت رهينة، وليس في الإسلام وسيط بين الله والناس، فليس أحد أحق بالوساطة من أحد، بل كل الناس سواسية، وكلهم عبيد الرحمن،

---

(١)سورة محمد: الآية (١٩).

(٢) سورة الحشر: الآية (١٠).

(٣) ينظر: ص (١٠٠).

(٤) صحيح مسلم (١٦٣١)، عن أبي هريرة.

(٥) صحيح البخاري (٢٢٤٠، ٦٥٣٥)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) سورة النساء (٤٨، ١١٦)، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص (٤٥١ – ٤٥٥)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٤٨٧/٧ –٥٠١)، ولمزيد تفصيل حول هذه الأسباب المسقطة للعذاب في الآخرة. ينظر: موانع إنفاذ الوعيد للدكتور عيسى السعدي، فهو كتاب جيد في بابه.

أقربهم إليه أتقاهم، ورحمة الله مفتوحة لكل تقي صالح، راغب في الرحمة والرضوان، والله قريب من عباده، ليس بينه وبينهم حجاب، وبابه مفتوح لكل طارق، ليس عليه سدنة ولا كهان، قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[1].

وهو – تبارك وتعالى – "يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل"[2].

جاء الإسلام فحرم الإيمان بالوساطة أو الشفاعة، وقضى على المدعين والمضللين، يقول سبحانه: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[3]، حتى رسول الإسلام ليس وسيطا بين الله والناس، وإنما عبد الله ورسوله، وهو مذكر وليس مسيطرا ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[5].

وإذا كفر الناس بربهم وتمادوا في غيّهم وشرورهم فلن تنفعهم شفاعة، ولن تجديهم وساطة، ولو كانت من الرسول نفسه، يقول الله لرسوله: ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[6]، نعم، فغفران الذنوب وقبول التوبة بيد الله وحده، لا يشاركه فيه أحد، ولا يتوسط عنده فيه فرد، يقول سبحانه ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[7]"[8].

ويبين د. يوسف القرضاوي الفرق بين إنسان النصرانية وإنسان الإسلام بقوله: إن

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٦).
(٢) كما في حديث أبي موسى الأشعري –رضى الله عنه– في صحيح مسلم (٢٧٦٠).
(٣) سورة البقرة: الآية (٢٥٥).
(٤) سورة الغاشية: الآية (٢١ – ٢٢).
(٥) سورة الشورى: الآية (٤٨).
(٦) سورة التوبة: الآية (٨٠).
(٧) سورة الزمر: الآية (٥٣ – ٥٤).
(٨) من كتاب: "المسيح إنسان أم إله"، د. محمد مجدي مرجان ص (١٦١– ١٦٢).

المسيحية حجرت على الإنسان أن يتصل بربه إلا بوساطة كاهن بيده مفاتيح الجنة وملكوت السماء، أما إنسان الإسلام فهو شيء آخر، فقد كان من دلائل تكريم الله للإنسان في نظر الإسلام أنه فتح له باب التقرب إليه –سبحان الله– أنى شاء، ومتى شاء، ولم يحوجه إلى وسطاء يتحكمون في ضميره، ويقفون حجابا بينه وبين ربه، ثم ساق بعض الأدلة التي تقدمت قبل قليل ثم قال: لا حاجة بالإنسان إذن إلى وساطة كاهن يصل عن طريقه إلى الله، ولا يقبل الله منه عبادة بغير توسطه، ولا يستطيع التوبة من ذنب ارتكبه إلا بالجلوس أمامه في ذل وخضوع على كرسي الاعتراف المشهور، فليس في الإسلام كاهن ولا كهنوت، وبهذا يستطيع الإنسان المسلم أن يقرع باب ربه متى شاء وأين شاء بعيدا عن سيطرة طبقة الدجاجلة المدعين للسمسرة بيد الله وعباده[1].

وقد حرم الله – كما تقدم – اتخاذ الشفعاء، قال عز وجل: ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾[2].

"فقد أخبر الله عن عباد الأصنام من المشركين أنهم **يقولون: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾**، أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة، ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم وزرقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا... ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوّا في جاهليتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – بردّها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه، وأخبر تعالى أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير

(١) الخصائص العامة للإسلام ص (٧٩ – ٨٠).
(٢) سورة الزمر: الآية (٣).

إذنهم فيما أحبه الملوك وأبَوه"[1].

وتقدم أن العرب في الجاهلية كانوا يؤدون الشعائر والنسك للأوثان، ومن بينها تقديم النذور، وهذا شرك ومعصية لله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم، أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى سواء كان النذر نفقة أو ذهبا أو غير ذلك، وهو شبيه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام[2].

وينبغي توضيح مسألة مهمة وهي أنه تقدم أن الشفاعة من ضمن الأسباب المؤدية إلى سقوط العذاب في الآخرة، وهذه الشفاعة لا يمكن أن تمنع إنفاذ وعيد الكفر؛ لأنه يستحيل شرعا قبولها فيمن لقي الله مشركا، وذلك لأمرين:

الأول: أن الله نص في مواضع من كتابه على أن الشفاعة لا تقبل فيمن لقيه مشركا، فقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[3] ، وقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[4]، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[5].

الثاني: أن الله نص في كتابه على أن الشفاعة لا تكون إلا لأهل رضاه، فقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[6]، وقد بين الله في كتابه أن أهل الكفر ليسوا من أهل رضاه، فقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[7].

لقد كان منهج الإسلام في بيان الغفران وعدم توقفه على الشفعاء والوسطاء من الأمور التي دفعت بعض النصارى إلى اعتناقه ونبذ النصرانية الملوّثة المحرفة، قال إبراهيم

---

(١) من تفسير ابن كثير (١٢/١١٢).
(٢) مجموع الفتاوى (١١/٥٠٤).
(٣) سورة المدثر: الآية (٤٨).
(٤) سورة البقرة: الآية (٤٨).
(٥) سورة غافر: الآية (١٨).
(٦) سورة الأنبياء: الآية (٢٨).
(٧) سورة الزمر: الآية (٧). وينظر: موانع إنفاذ الوعيد، د. عيسى السعدي ص (١٤٦).

خليل: يطول بي الحديث إذا تحدثت عن نظرية الغفران والفداء في المسيحية، ويكفي الإسلام فخرا أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت أو قلّت[1].

وقال: شكرا للإسلام بأنه قهر الوثنية بأشكالها المتنوعة، وبكل ضراوتها، إن مفهوم الكون والشعائر الدينية والعرف الاجتماعي كل هذه قد تحررت من كافة البشاعة التي جردت الإنسان والعقول البشرية من مقامه، فتحررت العقول البشرية من التحيز، وأدرك أخيرا الإنسان كرامته، فتواضع أمام خالقه رب العالمين، وتحررت نفس الإنسان من التحزب، وتحررت إرادته من الروابط التي تقيّده بالآخرين وبإرادتهم أو تربطه بما يطلق عليه القوى الخفية والكهنة الكذبة حماة الأسرار والطلاسم وسطاء الخلاص، كل هؤلاء المدعين بأنهم وسطاء بين الإنسان وبين الله، وتبعا لذلك يعتقدون بأن لهم السلطان على إرادة الناس، قد سقطوا من كراسيهم، وأصبح الإنسان عبدا لله وحده[2].

وقال عبد الأحد داود: الله يعطي النعمة والرزق والقوة لعبيده المحتاجين من غير أن يطلبوها، ويبذل إنعامه، ويفيضه عليهم جميعهم، والعبد التائب النادم على الخطيئة والذنب الذي اقترفه لا حاجة له بالذهاب إلى مخدع الكاهن، وتقبيل قدميه، وطلب العفو والغفران منه، بل يعرض ندامته وتوبته على الله في مخدعه أو غرفته، فتغفر له خطاياه وتمحى وتنسى بأجمعها، يجري ويؤدي وظائفه الدينية كالصدقة والصوم والصلاة لله خفية ليرضي الله وحده، ولا تعلم اليد اليسرى بما أعطته اليد اليمنى من الصدقة، لا يعطي صدقة ولا يقيم صلاة ولا يصوم رئاء الناس، وبأمل كسب مديحهم وثنائهم، بل يوفي ذلك لله وحده[3].

وقد أمر الإسلام أن يتوب العبد لله وحده، ويعترف بذنبه لله وحده، لا كما يقول النصارى من وجوب أن يعترف المذنب أمام القسيس بكل ما اقترف، فهذا فيه فضيحة عليه وعلى أهله وعلى من اعترف عليه، – كما تقدم – والمؤمن مأمور بالستر على نفسه

(١) المستشرقون والمبشرون ص (٢٠).
(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحية ص (١٢٤ – ١٢٥).
(٣) الإنجيل والصليب ص (١٣٠ – ١٣١).

وعلى غيره، كما جاء في الصحيحين: "من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة"[1].

فالستر مطلوب حتى لو كان في الذنب حد، فعلى المذنب أن يتوب ولا يفضح نفسه، ولا ينبغي لمسلم أن يسأل الآخرين عما ارتكبوا من الذنوب التي سترها الله تعالى.

وجاء في الصحيح قولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه"[2].

قال الحافظ ابن حجر[3] – في شرحه الحديث –: معافى بفتح الفاء مقصور، اسم مفعول من العافية، وهو إما بمعنى عفا الله عنه، وإما سلمه الله وسلم منه[4].

وأما ما جاء في حديث الإفك، وقولهّ –صلى الله عليه وسلم– لعائشة –رضي الله عنها–: "إن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه"[5].

فقد وضح لنا القاضي عياض[6] معنى الاعتراف هنا بقوله: ليس في الحديث أمرها بالاعتراف، إنما قال لها: "استغفري الله وتوبي"، وهذا فيما بينها وبين الله، وكذلك قوله: "فإن العبد إذا اعترف"، ليس فيه تصريح بأمرها بالاعتراف له، وإنما هو بالاعتراف لله، كما قال[7].

وقال الحافظ ابن حجر: ويؤيد ما قال عياض أن في رواية حاطب: "قالت: فقال أبي:

---

(١) صحيح البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، وصحيح مسلم (٢٥٨٠)، عن ابن عمر– رضي الله عنهما–.

(٢) صحيح البخاري (٦٠٦٩)، عن أبي هريرة– رضي الله عنه–.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي، العلامة الكبير شهاب الدين أبو الفضل الشهير بابن حجر العسقلاني الشافعي، ولد سنة (٧٧٣هـ)، وتوفي سنة (٨٥٢هـ). ينظر: الضوء اللامع (٣٦/٢)، والبدر الطالع (٨٧/١)، والشذرات (٢٧٠/٧)، ومعجم المؤلفين (٢١٠/١).

(٤) فتح الباري (٤٨٦/١٠).

(٥) متفق عليه من حديث عائشة، فأخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٦) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، العلامة القاضي أبو الفضل الأندلسي المالكي، ولد سنة (٤٧٦هـ)، وتوفي سنة (٥٤٤هـ). ينظر: السير (٢١٢/٢٠)، ووفيات الأعيان (٤٨٣/٣)، وتذكرة الحفاظ (١٣٠٤/٤)، والشذرات (١٣٨/٤).

(٧) إكمال المعلم (٢٩٨/٨).

إن كنتِ صنعتِ شيئا فاستغفري الله وإلا فأخبري رسول اللهّ -صلى الله عليه وسلم- بعذرك "[1].

* * *

(١) فتح الباري (٨/ ٤٧٥).

المبحث الثاني

دعوى وجود صكوك غفران في الإسلام ونقضها

في أثناء قراءتي لجمع المادة العلمية لهذا البحث وتأمل بعض المواقع والمنتديات النصرانية وغيرها وقفت على بعض المزاعم لبعض النصارى ممن ينكرون نسبة صكوك الغفران لهم!!

ويزعمون أن أول من اخترع صكوك الغفران النبي محمدّ –صلى الله عليه وسلم– فهو – بزعمهم – صاحب براءة ذلك الاختراع، ورجال الدين الكاثوليك قد اقتدوا به في العصور الوسطى[1].

ومما يؤسف له أن بعض الجهلة قد خُدع بمثل هذه الترّهات والأكاذيب والشبه، مثل كامل النجار – هداه الله وأصلحه – فأخذ يردد تلك المزاعم، وكتب عدة مقالات لتقرير ذلك[2]، ومثل طاهر مرزوق[3] وغيره.

واستدل هؤلاء بما جاء من النصوص النبوية في تبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه بالجنة، كالعشرة المبشرين بالجنة، وحث النبيّ –صلى الله عليه وسلم– أصحابه على القتال، ووعده لهم بالجنة، وشراء عثمان –رضي الله عنه– لبئر رومة، وتبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– له بالجنة، وتبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لعمرو بن ثابت المعروف بأصيرم لما قتل يوم أُحد، وأوردوا قول أبي هريرة فيه: ولم يصل لله صلاة قط، وتبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لعمير بن الحمام الأنصاري في غزوة بدر، كما سيأتي عرض ذلك وتوثيقه.

ثم قال النجار: ولم يكن الوعد بالجنة وقفاً على النبي وحده، فبعد موته قام بالمهمة غيره، فمثلاً سئل الإمام علي بعد معركة صفين عن قتلى الجمل فقال: والذي نفسي بيده لا يموتن أحد من هؤلاء وقلبه نقي إلا دخل الجنة[4].

---

(١) ينظر: صكوك الغفران الإسلامية، اقتل الأطفال الأبرياء تضمن دخول الجنة وتنكح الحوريات. محمد أول من ابتدع صكوك الغفران. موقع بالإنترنت.

(٢) ينظر مثلاً: صكوك الغفران قديماً وحديثاً مقال منشور في ٢٠٠٥/١٠/٣٠م، في الإنترنت.

(٣) ينظر مثلاً: صكوك الغفران الإسلامية، موقع الكاتب والأكاديمي أحمد أبو مطر، عدد (٢٥١٦).

(٤) أحال النجار إلى تاريخ ابن خلدون (٢٦٨/١)، وسيأتي الكلام حول هذه الرواية.

ثم تدرجت الوكالة عن الجنة من الخلفاء الراشدين إلى العلماء والفقهاء، وأورد قول ابن أبي حاتم[1]: من بنى ما تهدم من سور طوس[2]، وأضمن له عن الله الجنة؟، فصرف فيه رجل ألفاً، فكتب له ابن أبي حاتم رقعة بالضمان، فلما مات دفنت معه[3].

والحجاج[4] كان من الذين يوعدون بالجنة بالإنابة عن الله، وأورد قوله – عن أحد قواده ممن كان يقاتل الخوارج –: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا[5].

وفيما يلي لي عدة وقفات حول هذه الشبه والمزاعم.

أولاً: مما يُعجب له أن يسوق مثل هذا التخليط والتلاعب والتدليس من له أدنى مسكة من عقل وإدراك ونظر، فكيف يقال: إن الكاثوليك قد أخذوا هذه البدعة من النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وقد كانت أصول ومقدمات وبدايات هذه البدعة – كما تقدم تقريره – من الاعتراف للتكفير، وتسلط الكنيسة، ودعوى وراثتها الغفران عن بطرس ونحو ذلك، كل ذلك قد كان قبل ولادة المصطفىّ –صلى الله عليه وسلم– بمئات السنين؟!.

بل إن بعض الكتاب والمفكرين يرون أن الثورة على بدعة صكوك الغفران وعلى تسلط الكنيسة ورجال الكهنوت كان فيه تأثر واضح بالإسلام – كما تقدم – وهذا ينقض هذه الدعوى وينسفها من أصلها.

وقد ذكرنا – في سياق الكلام على صفة المغفرة لله – عز وجل في المبحث السابق – بعض الأوجه التي تبرز عقيدة الغفران في الإسلام، وكلها أوجه تنقض هذه البدعة

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، العلامة الحافظ أبو محمد الرازي، ولد سنة (٢٤٠هـ)، أو (٢٤١هـ)، وتوفي سنة (٣٢٧هـ). ينظر: السير (٢٦٣/١٣)، وتذكرة الحفاظ (٨٢٩/٣)، وطبقات السبكي (٣٢٤/٣)، والشذرات (٣٠٨/٢).

(٢) مدينة مشهورة بخراسان، فُتحت أيام عثمان بن عفان –رضى الله عنه– ينظر: معجم البلدان لياقوت (٤٩/٤)، ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق (٨٩٧/٢).

(٣) أحال النجار إلى الشذرات، لابن العماد (٣٠٨/٢).

(٤) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل، الأمير الظالم أبو محمد الثقفي، ولد سنة (٣٩هـ)، وقيل (٤٠هـ)، وقيل (٤١هـ)، وهلك سنة (٩٥هـ). ينظر: السير (٣٤٣/٤)، والبداية والنهاية (٥٠٧/١٢)، والوافي بالوفيات للصفدي (٣٠٧/١١)، والشذرات (١٠٦/١).

(٥) أحال النجار إلى الكامل لابن المبرد (١٦١/٤).

وتدفعها.

إن المقارنة بين ما كانت الكنيسة الكاثوليكية تقترفه من توزيع الصكوك وضمان الجنة وعدم اشتراط العمل وبين وعد الله للمؤمنين بدخول الجنة في الإسلام مقارنة باطلة متهافتة، ويردها ويبطلها من له أدنى نظر ومعرفة بتعاليم الإسلام.

فمن المعلوم أن بدعة صكوك الغفران تقوم على شراء المذنب لورقة تسمى صكاً، مكتوب فيها أن حاملها ينال المغفرة الكاملة في الحياة الآخرة مقابل مبلغ من المال، ولا يتطلب هذا الأمر من الشخص الذي اشترى الصك أي شيء يقدمه سوى المال مقابل الحصول على الحياة الأبدية في الملكوت، فلا اشتراط للإيمان أو العمل الصالح إطلاقاً، وهذا الصك لا يقبل إلا من قبل القسيس لا من غيره، وهو بمثابة إذن فعلي لارتكاب ما عمل أياً كان، واثقاً أنه بهذا الصك قد حاز الجنة.

ومن المعلوم والمتقرر عندنا أن الإسلام مناقض لهذا المبدأ، فليس فيه ضمان لدخول الجنة والحصول على نعيمها مقابل المال، وليس من المعقول ادعاء هذا الأمر ونسبته للإسلام زوراً وبهتاناً.

والنصوص في الإسلام واضحة وصريحة في تحديد ضوابط دخول الجنة والتخليد فيها، وأهم ذلك اشتراط الإيمان والعمل، قال عز وجل ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

قال ابن كثير – في تفسيره هذه الآية –: يقول تعالى: ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون، بل الأمر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته وهو من وافى يوم القيامة وليس له حسنة، بل جميع أعماله سيئات، فهذا من أهل النار، والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشريعة فهم من أهل الجنة، وهذا المقام شبيه بقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ

(١) سورة البقرة: الآية (٨١ – ٨٢).

﴿مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1][2].

"فبين عز وجل أن الخلود في النار والجنة بحسب الكفر والإيمان"[3].

ولم يكتف الإسلام بمجرد إيمان الشخص للحصول على الجنة دون العمل، كما في الآية السابقة، وقال عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾[4]، وقد احتج بها الإمام أحمد[5]، وقال: الإيمان قول وعمل[6].

كما احتج -رحمه الله- بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾ [7]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[8]، وبحديث وفد عبد القيس وفيه أن الوفد سألوا النبيّ -صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان فقال: "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن يعطوا الخمس من المغنم"[9][10].

فمن زعم أنه يكفيه الإيمان لدخول الجنة دون الحاجة إلى العمل فهذا ضال، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من كان عقده الإيمان بالغيب ولا يعمل بأحكام الإيمان وشرائع الإسلام فهو كافر كفراً لا يثبت معه توحيد[11].

وأعتقد أن هذه العقيدة في الإسلام من الوضوح بما يغني عن الإطالة فيها.

---

(١) سورة النساء: الآية (١٢٣- ١٢٤).
(٢) تفسير ابن كثير (٤٧١/١).
(٣) من تفسير ابن عطية (٣٦٩/١).
(٤) سورة التوبة: الآية (١١).
(٥) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، إمام أهل السنة والجماعة، أبو عبد الله الشيباني، ولد سنة (١٦٤هـ)، وتوفي سنة (٢٤١هـ). ينظر: السير (١٧٨/١١)، والحلية (١٦١/٩)، وتاريخ بغداد (٤١٢/٤)، والشذرات (٩٦/٢).
(٦) ينظر: السنة (ق ٩٨/ب)، والإبانة الكبرى لابن بطة (٧٣٨/٢).
(٧) سورة البينة: الآية (٤)، وينظر: مسائل أحمد، لابن هانئ (١٦٣/٢).
(٨) سورة الحجرات: الآية (١٥)، وينظر: السنة، للخلال (١٠٧٧).
(٩) متفق عليه من حديث ابن عباس، فأخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).
(١٠) ينظر: السنة، للخلال (١١٠٠).
(١١) الإيمان ص (٣١٦).

وما جاء من بعض النصوص التي فيها إثبات دخول الجنة بمجرد التلفظ بالشهادتين، نحو قولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار"[1].

وقولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة"[2]، ونحوها، فهي مقيدة بغيرها من النصوص الآمرة بالعمل والمحذرة من تركه وتعطيله، فليس معنى هذه النصوص الركون إلى هذا اللفظ واعتقاد أن هذا كافٍ في دخول الجنة والنجاة من النار، فهذا من فعل الجهلة ومن يريد إبطال الشريعة، بل الواجب أن يُقرن ذلك بالعمل، وإلا فمعتقد أهل السنة أن الذي يأتي بالشهادتين ويموت عليهما واقترف الكبائر والذنوب؛ فهو تحت المشيئة الإلهية، إن شاء عذبه عز وجل بعدله، وإن شاء عفا عنه برحمته.

قال الحافظ ابن حجر قد يتخذ المبطلة أمثال هذه الأخبار ذريعةً إلى طرح التكاليف وإبطال العمل، ظناً أن ترك الشرك كافٍ، وهذا يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود، وأن الترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية لا أثر له، فيفضي إلى الانخلاع من الدين، وانفكاك قيد الشريعة، والخروج عن الضبط، والولوج في الخبط، وترك الناس سدى هملاً، وذاك مفضٍ إلى خراب الدنيا والآخرة، وقد جاء في بعض طرق هذه الأحاديث: "أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً"، وهذا يتضمن اشتراط العمل، فيجب ضم بعض الأحاديث إلى بعض، فإنها كالحديث الواحد، فيحمل مطلقها على مقيدها[3].

فالإسلام يشترط للجنة الإيمان والعمل، وإن من أتى بهما في الدنيا لا يضمن له الجنة حتى يموت عليهما، فليس هناك ضمان في الدنيا للجنة، ويستمر عدم الضمان إلى ما قبل خروج الروح.

بل "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل

---

(١) صحيح مسلم (٢٩)، عن عبادة –رضي الله عنه–.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/٢٢٣)، رقم (٥٠٧٤)، وابن عدي في الكامل (٧/٢٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع بشواهده (٦٣٠٩).

(٣) فتح الباري (١١/٢٧٠).

ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة"[1]. "وإنما الأعمال بالخواتيم"[2].

قال ابن بطال[3]: في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف، لأنه لو علم وكان ناجياً أعجب وكسل، وإن كان هالكاً ازداد عتواً، فحجب عنه ذلك ليكون بين الخوف والرجاء[4].

وقد جاءت النصوص بالشهادة بالجنة لمن ختم الله له بالخير ومات على الإسلام وإن لم يعمل في حياة خيراً قط، ولكن هذه النصوص ليس معناها الشهادة بالجنة لمن لم يعمل خيراً قط حتى وفاته، بل فيها الشهادة بالجنة لمن مات على الإسلام، فمثلاً قوله ﷺ –صلى الله عليه وسلم– في حديث الشفاعة: "فيخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط"[5]، معناه: عملوا حسنات ولكن أكلتها السيئات، حتى لا يأتي أحد يقول: تارك الصلاة يدخل في الشفاعة ولم يعمل خيراً قط، فالقضية ليست هكذا، لأن في رواية الصحيح: "الشفعاء يعرفون المشفوع لهم بآثار السجود"[6].

ويأتي ناس يصلون ولا يرى فيهم أثر الصلاة، وهو ليس بتارك للصلاة، ولا يعامل مثل تاركها، وعز وجل لا يظلم أحداً شيئاً، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾[7].

ومثل هؤلاء الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل فأتاه فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفساً فهل لي من توبة؟ فقال: بعد قتل تسعة وتسعين نفساً؟ فانتضى سيفه فقتله به فأكمل به مئة، ثم عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل فأتاه فقال له: إني قتلت مئة نفس فهل لي

---

(١) متفق عليه من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري (٢٨٩٨، ٤٢٠٢، ٤٢٠٧)، ومسلم (١١٢).

(٢) صحيح البخاري (٦٤٩٣، ٦٦٠٧)، عن سهل بن سعد.

(٣) هو علي بن خلف بن بطال، العلامة أبو الحسن البكري القرطبي، المعروف بابن اللجام، توفي سنة (٤٤٩هـ)، وقيل (٤٧٤هـ). ينظر: السير (٤٧/١٨)، وترتيب المدارك (٨٢٧/٤)، والعبر (٢١٩/٣)، والشذرات (٢٨٣/٣).

(٤) شرح صحيح البخاري (٢٦٨/١٩)، وينظر: فتح الباري، لابن حجر (٣٣٠/١١).

(٥) صحيح مسلم (١٨٣و٣٠٢)، عن أبي سعيد الخدري –رضى الله عنه–.

(٦) صحيح البخاري (٨٠٦)، عن أبي هريرة –رضى الله عنه–.

(٧) سورة النساء: الآية (٤٠).

من توبة؟ فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ اخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة، قرية كذا وكذا، فاعبد ربك فيها، فخرج إلى القرية الصالحة فعرض له أجله في الطريق، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قال إبليس: أنا أولى به إنه لم يعصني ساعة قط، وقالت ملائكة الرحمة: إنه خرج تائباً، فألحق بأهل القرية الصالحة"[1].

فهذا الرجل لم يعمل خيراً قط لكنه نوى أن يعمل الخير، فكلمة: لم يعمل خيراً قط لا نفهمها على أنه لم يعمل أي حسنة بإطلاق، بل طلبه التوبة، وبحثه عن الذي يدله، ومجيئه إلى أهل القرية الصالحة، كل ذلك أعمال كتبت له ورجحت كفته، ونجا بفضل الله ورحمته ومنّته وكرمه.

ومثله الرجل الذي لم يعمل خيراً قط، فلما حضره الموت طلب من بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يرموه في البحر، ففعلوا ذلك، فبعثه الله وقال له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب أو مخافتك، فغفر له بذلك[2].

ومن ذلك قصة الأسود الراعي واسمه أسلم في غزوة خيبر، حيث أسلم على يد الرسولّ –صلى الله عليه وسلم– وتقدم ليقاتل مع المسلمين، فأصابه حجر فقتله، وما صلى لله صلاة قط، قالّ –صلى الله عليه وسلم– عنه: "إن معه الآن زوجتين من الحور العين"، قال جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–: قتل شهيداً وما سجد لله سجدة[3].

ومن هذا القبيل قصة عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم، فقد كان يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد قذف الله في قلبه الإسلام، وأخذ سيفه ولحق بالنبيّ –صلى الله عليه وسلم– ليقاتل، وقتل، فذكروه للنبيّ –صلى الله عليه وسلم– فقال: "إنه لمن أهل الجنة"، وكان أبو هريرة يقول: حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة قط، فإذا لم يعرفه

---

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري، فأخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦).

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٤/٢١)، عن جابر وعن أنس من طريق آخر، والحاكم في المستدرك (٢/١٠٣، ٩٣)، وصححه ووافقه الذهبي. وينظر: البداية والنهاية (٦/٢٧٦)، وسيرة ابن هشام (٢/٣٤٤)، والروض الأنف للسهيلي (٤/٨٧)، والكشف والبيان للثعلبي (٣/٢٨١)، ومغازي الواقدي (١/٦٤٨)، والإصابة لابن حجر (١/١٣١)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٦٠٥١).

الناس يسألوه: من هو؟ فيقول: هو أصيرم، ويذكر خبره[1].

ونحو ذلك ما في الصحيح عن البراء قال: أتى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله، أقاتل أو أسلم؟ قال: "أسلم ثم قاتل". فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال ﷺ -صلى الله عليه وسلم-: "عمل قليلاً وأجر كثيراً"[2].

ولا شك أن الإسلام حث على الأعمال الصالحة ووعد على فعلها الأجر العظيم والثواب الجزيل، ومن هذه الأعمال البذل والإنفاق في سبيل الله، ولكن هذا البذل بلا إيمان يسبقه ويستقر في قلب صاحبه ويثمر ذلك عملاً يداوم عليه صاحبه إلى وفاته، هذا البذل لا قيمة له، ولا ينفع صاحبه، ولا يجلب له ثواباً قط.

ففي مبدأ صكوك الغفران لدى النصارى هناك شراء لضمان الراحة في الحياة الأبدية، أي أنه شراء للضمان بلا عمل، وفي الإسلام لا يوجد أي شراء للضمان، بل هناك إيمان ثم بذل للنفس والمال وقيام بكافة الواجبات والحقوق، وكفٌّ عن كافة النواقض والنواهي، ثم يكون الحساب يوم القيامة، ليتبين حقيقة العمل الذي فعله العبد في الدنيا، وهل هو خالص لله؟ ثم يحكم الله فيه بحكمه العدل.

ثم إن بدعة إصدار الصكوك عند النصارى كانت من صلاحية البابا وحده، فهو عندهم المُصَرّح له بإصدارها، نتيجة لزعمهم أنه المخول من بطرس النائب عن المسيح -عليه السلام-.

أما في الإسلام فليس هناك رجل مخول بإصدار صكوك غفران للناس كائناً من كان[3]، ولا يوجد شخص يمكن أن يدعي هذه المنزلة، بل إن المصطفى ﷺ -صلى الله عليه

---

(١) أخرجه ابن إسحاق – كما في سيرة ابن هشام (٩٠/٢)، وحسّن الحافظ ابن حجر إسناده في الإصابة (٣٤١/٧)، ومن طريق آخر عند أبي داود في سننه (٢٥٣٧)، والمستدرك للحاكم (١١٣/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقد حسنه ابن حجر في الإصابة (٣٤٢/٧)، والألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٨٢/٢)، رقم (٢٢١٢).

(٢) صحيح البخاري (٢٨٠٨)، ونحو ذلك في صحيح مسلم (١٩٠٠)، وسنن النسائي الكبرى (٨٦٥٢). وفيه قوله للنبيّ -صلى الله عليه وسلم-: لو أني حملت على القوم فقاتلت حتى أقتل، أكان خيراً لي ولم أصل صلاةً؟، قال: "نعم".

(٣) يعترف العديد من الكتاب النصارى بأن الإسلام ليس فيه كهنوتيه، أو قساوسة لهم سلطات مثل ما عند النصارى. ومنهم هنري كوربان وجولد تسيهر وولز. ينظر: أصالة التفكير الفلسفي في الإسلام، تأليف قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، القاهرة ص (٦٢ – ٦٦)، والعلمانية هل الإسلام

وسلم– وهو أشرف الخلق كان يقرر أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، فقيل له: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"[1].

قال العلامة الكرماني[2]: إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله فوجه تخصيص رسول الله ﷺ –صلى الله عليه وسلم– بالذكر أنه إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى[3].

ومما يؤكد عدم وجود أي أصل لمبدأ الصكوك في الإسلام أن هذه الصكوك تناقض عقيدة الشفاعة، فصاحب الصك يضمن دخول الجنة، وليس محتاجاً في الآخرة لشفاعة أحد كائناً من كان، بينما في الإسلام نحتاج كلنا بل وسائر الأمم للشفاعة العظمى في الموقف، ونحتاج نحن إلى الشفاعة في دخول الجنة، ورفع درجات بعض أهلها، والشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، والشفاعة في أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ –صلى الله عليه وسلم–، وغيرها من الشفاعات.

ومن الأمور التي تؤكد بطلان دعوى وجود الصكوك في الإسلام أن صاحب الصك ضمن الجنة بصكه والنجاة من النار مهما عمل من أعمال الردة عن الدين، بينما في الإسلام حين يقع العبد في نواقض الإيمان وهي الكفر والشرك والنفاق، يصبح مرتداً وأعماله محبطة كلها، ومستحقاً للنار، وهذا الأمر يؤكد التناقض الظاهر بين أحكام الإسلام وقواعده وأصوله وبين هذه البدعة المستحدثة من كهنة النصارى.

ثانياً: أما الاستدلال بشهادة النبي ﷺ –صلى الله عليه وسلم– بالجنة لعدد من الصحابة على أن ذلك صك بضمان الجنة، فهو استدلال غريب، وتنظير عجيب، وظاهر ذلك الاستدلال – كما جاء في مقالة النجار وغيره – الاعتراض على حكم النبي ﷺ –صلى الله

بحاجة إليها د. جمال فاروق جبريل [بحث ضمن مجلة كلية أصول الدين، بجامعة الأزهر، عدد (٢)، سنة ٢٠١٠م ص (١٢٦١).

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، فأخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٣٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، ومن حديث عائشة عند البخاري (٦٤٦٤، ٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) هو محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، العلامة شمس الدين الكرماني، ولد سنة (٧١٧هـ)، وتوفي سنة (٧٨٦هـ). ينظر: الدرر الكامنة (٣١٠/٤)، وبغية الوعاة، للسيوطي (١٢٠)، والبدر الطالع (٢٩٢/٢)، والشذرات (٢٩٤/٦).

(٣) الكواكب الدراري، شرح صحيح البخاري (١٩٩/٢٠)، ونقله الحافظ في فتح الباري (٢٩٧/١١).

عليه وسلم– وشهادته، وهذا أمر خطير وضلال عظيم، فكل ما يصح عن المصطفىّ– صلى الله عليه وسلم– من أمور التشريع الديني فهو وحي، يجب كمال الانقياد والخضوع والتسليم لما جاء بهّ–صلى الله عليه وسلم–. لأنهّ–صلى الله عليه وسلم– ما جاء بما جاء به من تلقاء نفسه بل أنزل الله عليه الكتاب والحكمة ولم يكن يدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعله الله هادياً إلى الصراط المستقيم، وعلمه الحكمة، وفصل الخطاب، وما لم يكن يعلم، وآتاه جوامع الكلم، ولا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى فترى المتحاكم إليه منشرح الصدر بحكمه راضياً به، مطمئناً بما قضى، منقاداً بكل ارتياح ظاهراً وباطناً، مسلماً تسليماً كاملاً مطلقاً، قد انتفى عنده الضيق والحرج والقلق الذي قد يساور البعض عندما يكون الحاكم عليه محل شك، أما وإن الحاكم هو رسول الله، فلا ممانعة، ولا معارضة، ولا مدافعة، ولا منازعة، ولا ضيق صدر، ولا حرج، ولا قلق، ولا اضطراب.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ فَلَا ﴾ فليس الأمر كما يزعمون أنه يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد، واستأنف القسم جل ذكره، فقال: ﴿ وَرَبِّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، أي لا يصدقون بي وبك، وبما أنزل إليك حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ويقول: حتى يجعلوك حكماً بينهم ... ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾، وإنما معناه لا تحرج أنفسهم مما قضيت، أي لا تأثم بإنكارها مما قضيت، وشكها في طاعتك، وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه... ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ يقول: ويسلموا لقضائك (يا محمد) وحكمك، إذعاناً منهم بالطاعة، وإقراراً لك بالنبوة تسليماً[2].

ولابن أبي العز الحنفي كلام نفيس جداً في شرحه للعقيدة الطحاوية بيّن فيه أهمية التسليم للرسولّ–صلى الله عليه وسلم–، وأنه أحد التوحيدين اللذين لا نجاة للعبد إلا بهما ويقول فيه: الواجب كمال التسليم للرسولّ–صلى الله عليه وسلم– والانقياد

(١) سورة النساء: الآية (٦٥).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ١٥٨).

لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم؛ فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما؛ توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسولﷺ -صلى الله عليه وسلم-، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره، وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملاً، فقال: نؤوله ونحمله، فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب -ما خلا الإشراك بالله- خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح يُعد نفسه كأنه سمعه من رسول اللهﷺ -صلى الله عليه وسلم-، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه؟!

بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قولهﷺ -صلى الله عليه وسلم- لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يُعارض نص بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصهﷺ -صلى الله عليه وسلم-، ولا يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول قولهﷺ -صلى الله عليه وسلم- على موافقة فلان دون فلان، كائناً من كان... ولا شك أن الله قد حرم عليه القول بغير علم، قال تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2].

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه،

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٣٣).

(٢) سورة الإسراء: الآية (٣٦).

فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يُعرض عليه فإن وافقه فهو حق وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل خالفه أو وافقه، لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه؟ فإنه يمسك عنه ولا يتكلم إلا بعلم، والعلُم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسولّ –صلى الله عليه وسلم– وقد يكون علم عن غير الرسولّ –صلى الله عليه وسلم– لكن في الأمور الدنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة، أما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير...[1].

فإخبار النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وشهادته بالجنة لبعض أكابر الصحابة – رضوان الله عليهم – هو إخبار من عز وجل له، وهو الصادق المصدوق، يجب تلقي كلامه بكمال القبول والتسليم والانقياد والتصديق.

وليس في ذلك ما يشير لا من قريب ولا من بعيد إلى أي مضارعة أو تأثر ببدعة صكوك الغفران، فالصك – كما تقدم مراراً – يأخذه مشتريه المذنب من الكاهن لضمان الجنة بمبلغ من المال، وما يضره أي شيء يعمله إلى وفاته، وهذا لا دخل له ولا علاقة له بتبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لبعض أصحابه بالجنة لبعض الأعمال التي قاموا بها، أو بعض الأموال التي بذلوها.

ولتوضيح ذلك نسوق بعض الأمثلة، فمثلاً قال النبيّ –صلى الله عليه وسلم– في قصة حاطب بن أبي بلتعة –رضي الله عنه– لما قال له عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنقه –: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"[2].

فهل فهم الصحابة – رضوان الله عليهم – من هذا أن أصحاب بدر قد حصلوا على صكوك بالجنة فلم يبالوا أي عمل عملوا؟ كلا والله، والناظر في أحوالهم وسيرتهم يلحظ شدة حرصهم على الأعمال وشدة خوفهم من المعاصي – وسيأتي طرف منها – إلى آخر حياتهم.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص (٢٢٨ – ٢٣٠)، وينظر: رسالة خاتم النبيينّ –صلى الله عليه وسلم–، د. ثامر الغشيان ص (٤٣٠ – ٤٣٢).

(٢) متفق عليه من حديث علي –رضي الله عنه– فأخرجه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤).

قال الحافظ ابن حجر – في شرحه حديث حاطب –: المراد بقوله: (غفرت) أي أغفر، على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه، والمراد غفران ذنوبهم في الآخرة، وإلا فلو وجب على أحدهم حد مثلاً لم يسقط في الدنيا... قال القرطبي: وقد ظهر لي أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة، وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى، ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. اهـ[1]. ويحتمل أن يكون المراد بقوله: "فقد غفرت لكم"، أي ذنوبكم تقع مغفورة، لا أن المراد أنه لا يصدر منهم ذنب، وقد شهد مسطح بدراً ووقع في حق عائشة، فكأن الله لكرامتهم عليه بشرهم على لسان نبيه أنهم مغفور لهم ولو وقع منهم ما وقع[2].

وهذا حسان بن ثابت –رضي الله عنه– أحد السابقين من المهاجرين الذي قال الله فيهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

فهل ركن إلى هذا الوعد ولم يبالي؟ وهل لم يصدر عنه بعد ذلك أي ذنب يُؤاخذ عليه؟ كان حسان–رضي الله عنه– أحد أصحاب الإفك، وقد عوقب بعدها، قال مسروق[4]: كنت عند عائشة فدخل حسان بن ثابت رضي الله عنه–، فأمرت فألقي له وسادة فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/٤٤١ – ٤٤٢).

(٢) فتح الباري (٨/٦٣٥).

(٣) سورة التوبة: الآية (١٠٠).

(٤) هو مسروق بن الأجدع، الإمام أبو عائشة الكوفي، عداده في كبار التابعين والمخضرمين الذين أسلموا في حياة النبيّ –صلى الله عليه وسلم–، يحدث عن كبار الصحابة، توفي سنة (٦٣هـ)، وقيل (٦٢هـ). ينظر: السير (٤/٦٣)، والحلية (٢/٩٥)، وتاريخ بغداد (١٣/٢٣٢)، والشذرات (١/٧١).

كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]، وقد ذهب بصره، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم ذهاب بصره[2].

وهذا كعب بن مالك الأنصاري –رضي الله عنه– . له من الفضل ما كان، وقد شهد العقبة وأحداً وما بعدها، لكنه تخلف في تبوك، فهل اتكل على وعد الله للأنصار؟ لقد أتى النبيّ –صلى الله عليه وسلم– وقال له: لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

ثم نهى رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– المسلمين عن كلامه مع من تخلف، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم... ولا يكلمني أحد... فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ: يا كعب بن مالك أبشر، فخررت ساجداً وعرفت أن قد جاء فرج... ثم أتى النبيّ –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله...[3].

وهذا البراء بن عازب الأنصاري –رضي الله عنه–، فهو أنصاري وممن بايع تحت الشجرة، وقد رضي الله عن أهل الشجرة[4]، قال له المسيب بن رافع[5]: طوبى لك، صحبت النبيّ –صلى

---

(١) سورة النور: الآية (١١).

(٢) صحيح البخاري (٤٧٥٥)، وينظر: تفسير الطبري (١٩٣/١٧– ١٩٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٥٤٥/٨).

(٣) صحيح البخاري (٤٤١٨).

(٤) كما في سورة الفتح: الآية (١٨).

(٥) هو المسيب بن رافع، الفقيه الكبير أبو العلاء الأسدي، كوفي ثبت، توفي سنة (١٠٥هـ). ينظر: السير (١٠٢/٥)، والجرح والتعديل (٢٩٣/٨)، وتهذيب الكمال للمزي (٥٨٦/٢٧)، والشذرات (١٣١/١).

الله عليه وسلم–، وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي أنت لا تدري ما أحدثنا بعده![1]، والبراء كان مع علي في الجمل وصفين[2].

قال الحافظ ابن حجر: يشير البراء إلى ما وقع لهم من الحروب وغيرها، فخاف غائلة ذلك، وذلك من كمال فضله[3].

فشهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لبعض الصحابة بالجنة لا ينافيه وقوعهم في الذنوب، فهم ليسوا معصومين باتفاق، ولكن لهم فضيلة التقدم في الإسلام والمنافحة عن دين الله ورسوله مما كان له الأثر في أن تكون مُعفية لذنوب سبقت أو ذنوب تلحق، أو أنها تكون سبباً لصاحبها فلا يقع في العظائم، وقد تقع له بعض الهنّات التي يغفرها الله له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وما قُدّر أنه كان فيما نقل عن الصحابة –رضوان الله عليهم– ذنب من الذنوب لهم، فهو مغفور لهم، إما بتوبة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك، فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه أنهم من أهل الجنة، فامتنع أن يفعلوا ما يوجب النار لا محالة، وإذا لم يمت أحد منهم على موجب النار لم يقدح ما سوى ذلك في استحقاقهم للجنة[4].

وشهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– – كما تقدم – لهم بالجنة وحي من الله عز وجل للمصطفىّ –صلى الله عليه وسلم–، ويتضمن ذلك أن المبشر بالجنة يفي ما التزم ويداوم على ذلك ويدخل الجنة.

قال النووي[5] – في شرحه خبر –: "من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا"[6]: الظاهر منه أن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– علم أنه يوفي بما التزم، وأنه

---

(١) صحيح البخاري (٤١٧٠).

(٢) ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٥٧/١)، وأسد الغابة، لابن الأثير (١٧١/١)، والإصابة (٥٢٠/١).

(٣) فتح الباري (٤٥٠/٧).

(٤) منهاج السنة (٣١٠/٤ – ٣١١).

(٥) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، العلامة الكبير محيي الدين أبو زكريا النووي الشافعي، ولد سنة (٦٣١هـ)، وتوفي سنة (٦٧٧هـ)، وقيل (٦٧٦هـ). ينظر: تذكرة الحفاظ (٢٥٠/٤)، وطبقات السبكي (١٦٧/٥)، والشذرات (٣٥٤/٥)، ومعجم المؤلفين (٩٨/٤).

(٦) صحيح مسلم (٢٤٨٤).

يداوم على ذلك ويدخل الجنة[1].

ولو نظرنا وتأملنا في سير الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – لوجدناهم أحرص الأمة على الأعمال والمبادرة إليها إلى وفاتهم، وأبعد الناس عن مظاهر الإرجاء، ولم توجد مظاهر الفصل بين الإيمان والأعمال إلا بعدهم، والأمثلة على سير الصحابة في ذلك كثيرة جداً، فهذا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أفضل الأمة بعد المصطفىّ – صلى الله عليه وسلم – كان أحرص الناس على أعمال الخير، ففي الصحيح عن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال: قال رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم–: "من أصبح منكم اليوم صائماً؟" قال أبو بكر: أنا، قال: "من تبع منكم جنازة؟"، قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟"، قال أبو بكر: أنا، قال: "فمن عاد اليوم منكم مريضاً؟"، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم–: "ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة"[2].

وكان عمر يقول: إنه ما سبق أبا بكر إلى خير قط إلا سبقه به[3]، وجاء نحو ذلك عن علي – رضي الله عنه – [4]، ولما مات لم يترك ديناراً ولا درهماً كما قالت ابنته أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– وأرضاها[5].

وكلماته في شدة خوفه من الله وفيرة، ومنها: ما رواه معاذ بن جبل –رضي الله عنه– قال: دخل أبو بكر حائطاً وإذا بدبسيّ[6] في ظل شجرة، فتنفس الصعداء ثم قال: طوبى لك يا طير! تأكل من الشجر، وتستظل بالشجر، وتصير إلى غير حساب، يا ليت أبا بكر مثلك[7].

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٧٤/١)، وهذا الخبر قيل في عبد الله بن سلام –رضى الله عنه–.
(٢) صحيح مسلم (١٠٢٨) (١٢).
(٣) ينظر: تاريخ بغداد (٧٦/٥)، وتاريخ ابن عساكر (٦٥/٣٠)، وكنز العمال (٣٥٦٢١)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٥٣).
(٤) ينظر: المعجم الأوسط للطبراني (١٦٤/٧) (٧١٦٨)، وكنز العمال (٣٥٦٧٥)، وتاريخ الخلفاء (٥٣).
(٥) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (١٩٥/٣)، والزهد لهناد (٧٣٧)، وتاريخ الخلفاء (٧٢).
(٦) طائر أدكن يقرقر، لونه بين السواد والحمرة. ينظر: القاموس المحيط ص (٧٠٠).
(٧) ينظر: الزهد لأحمد بن حنبل (٧٤٨)، وشعب الإيمان للبيهقي (٧٨٧)، ومصنف ابن أبي شيبة (٩١/٧)، وتاريخ الخلفاء (٨٩).

وقال: لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن[1]. وكان إذا مُدح يقول: اللهم أنت أعلم مني بنفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، وأغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[2].

وهذا عمر بن الخطاب الفاروق–رضي الله عنه – كان يحدث نفسه قائلاً: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين: بَخٍ، والله لتتقين الله يا بن الخطاب أو ليعذبنك الله[3].

وأخذ–رضي الله عنه – مرة تبنة من الأرض فقال: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً، ليت أمي لم تلدني[4]. وكان–رضي الله عنه – يناشد حذيفة هل عده رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– من المنافقين؟ فيقول حذيفة: لا ولن أبرئ أحداً بعدك[5].

وقال عمر –رضي الله عنه – في احتضاره لابن عباس –رضي الله عنه –: والله لو أن لي طلاع[6] الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب عز وجل قبل أن أراه[7].

قال الحافظ: وإنما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير فيما يجب عليه من حقوق الرعية، أو من الفتنة بمدحهم[8].

وأما عثمان بن عفان–رضي الله عنه – الذي استدل النجار وغيره بقصة حفره لبئر رومة، وتجهيزه جيش العسرة بأن هذا صك بالغفران من النبيّ –صلى الله عليه وسلم– له، فما يقال على باقي الصحابة ممن شهد لهم النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالجنة يقال عليه ، بل هو بذل أمواله كلها للمسلمين، وكانت نفقته عظيمة لم ينفق أحد مثلها،

---

(١) ينظر: الزهد، لأحمد (٥٦٧)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢٥١/١)، وتاريخ الخلفاء (٨٩).

(٢) ينظر: الشعب (٤٨٧٦)، وأسد الغابة (٦٤٦/١)، وبغية الطلب لابن العديم (١٤٦/٤)، والكنز (٣٥٧٠٤)، وتاريخ الخلفاء (٨٩).

(٣) ينظر: موطأ مالك (٩٢٥)، وتاريخ الخلفاء (١٠٩).

(٤) ينظر: طبقات ابن سعد (٣٦٠/٣)، وتاريخ المدينة لابن شبة (١١٨/٢)، والكنز (٣٥٩١٤)، وتاريخ الخلفاء (١٠٩).

(٥) ينظر: مسند البزار (٣٥٨/٧) (٢٥٠٥)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤٨١/٧)، (٣٧٣٩٠)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (٧٦٩/٢)، وجاء في المسند لأحمد نحو هذا القول ولكن عن أم سلمة –رضي الله عنها– (٣٠٧/٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح (٢٣٧/٤٤).

(٦) أي ملأها. وأصل الطلاع ما طلعت عليه الشمس. ينظر: الفتح (٥٢/٧).

(٧) صحيح البخاري (٣٦٩٢).

(٨) فتح الباري (٥٢/٧).

كانت ثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وعدتها، وألف دينار عيناً[1]، فقال ّ–صلى الله عليه وسلم–: "ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم"[2]، فمعنى: "ما ضر ابن عفان..." "أي يحفظه عز وجل عن معصية لا تُغفر له، وإن ارتكب ما يصلح للمغفرة، فعز وجل يغفر له ذلك، ففيه بشارة بالعصمة عن الإيذاء، وبأن عز وجل يغفر له غير ذلك إن اتفق وجوده"[3].

"فشهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– له بالجنة في شرائه بئر رومة وتحبيسها على المسلمين، غنيهم وفقيرهم، وزيادته في المسجد، وتجهيزه جيش العسرة مع قولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم"، وهذا كقولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، كل هذه الخصال المذكورة من أعظم مناقبه–رضي الله عنه–، وقد ذكرها يوم كان محصوراً في داره من قبل الزائغين الذين خرجوا عليه بغية الفساد في الأرض، وصدقه بها كبار الصحابة وفضلاؤهم الذين سمعوها من النبيّ –صلى الله عليه وسلم– مثل سعد ابن أبي وقاص وعلي والزبير وطلحة – رضي الله عنهم أجمعين –"[4].

ولكن هل استكان عثمان لهذه الشهادة؟ وهل استكان قبلها لكونه أحد السابقين الأولين؟ ولو استكان لكونه أحد السابقين الأولين فلم يعمد إلى تجهيز جيش العسرة وحفر البئر وغيرها؟ إن المستعرض لسيرة هذا الصحابي الجليل وحياته إلى استشهاده يجد أعمالاً وآثر عظيمة، وإن الناظر في ظروف وملابسات صبره واستشهاده وإقسامه على كثير من الصحابة وكبار التابعين بعدم القتال دونه ليعلم علم اليقين مدى كمال خوف هذا الصحابي الجليل من الله، وحرصه على مصلحة الأمة،

---

(١) ينظر: زاد المعاد لابن القيم (٥٢٧/٣)، وينظر: في تجهيز عثمان لجيش العسرة: المسند لأحمد (٦٣/٥)، قال شعيب: إسناده حسن. وفضائل الصحابة له (٧٣٨)، وسنن الترمذي (٣٧٠٢)، والسنة لابن أبي عاصم (١٢٧٩)، ومستدرك الحاكم (١٠٢/٣)، وصححه ووافقه الذهبي، ودلائل النبوة للبيهقي (٢١٥/٥)، والمعجم الأوسط للطبراني (٩٢٢٢).

(٢) ينظر: تخريج الحديث السابق وهو حسن.

(٣) من كلام العلامة السندي في حاشيته على مسند أحمد. ينظر: الطبعة المحققة من المسند (٢٣٢/٣٤ – ٢٣٣).

(٤) من كلام د. ناصر علي الشيخ من كتابه: "عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام –رضي الله عنهم–. (٢٦٧/١ – ٢٦٨).

وتضحيته بنفسه.

وهل ترك عثمان شيئاً من الأعمال أو الفرائض أو اقتحم شيئاً من الفجور والمعاصي بدعوى أن له ضماناً من النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالجنة؟ كلا والله ما فعل، ولا يستطيع النجار وغيره ادعاء ذلك أو الإتيان بما يثبت ذلك، بل على العكس كان من أعف الناس وأتقاهم وأورعهم، قال : إني لرابع أربعة في الإسلام، وجهزت جيش العسرة، وأنكحني رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– ابنته، ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى، وما تغنيت ولا تمنيت، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم–، وما مرت بي جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة.... ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم–[1].

وكان من عادته أن يصلي بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود[2]، قال ابن عمر – في قوله تعالى –: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[3]: هو عثمان بن عفان[4].

وقال حسان بن ثابت –رضي الله عنه– :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً[5]

وقالت امرأة عثمان – يوم الدار –: اقتلوه أو دعوه، فو الله لقد كان يحيى الليل بالقرآن في ركعة[6]. وكان يصوم الدهر، وكان يُعاتَبُ فيقال له: لو أيقظت بعض الخدم؟ فيقول: لا، الليل لهم يستريحون فيه، وكان إذا اغتسل لا يرفع المئزر عنه، وهو في بيت مغلق عليه، من

---

(١) ينظر: المعجم الكبير للطبراني (٨٥/١)، رقم (١٢٤)، وتاريخ ابن عساكر (٢٧/٣٩)، وتاريخ المدينة (٢٩٤/٢)، والمعرفة والتاريخ (٤٨٨/٢)، والكنز (٣٦١٧٧)، وتاريخ الخلفاء (١٣٤).

(٢) ينظر: طبقات ابن سعد (٧٦/٣)، والسنن الكبرى للبيهقي (٢٤/٣ – ٢٥)، والبداية والنهاية (٣٨٨/١٠).

(٣) سورة الزمر: الآية (٩).

(٤) ينظر: حلية الأولياء (٥٦/١)، والبداية والنهاية (٣٨٨/١٠).

(٥) ينظر: ديوان حسان (٢١٦)، والعقد الفريد لابن عبد ربه (٨١/٣)، (١٥٩/٤)، والبداية والنهاية (٣٨٨/١٠).

(٦) ينظر: طبقات ابن سعد (٧٦/٣)، والحلية (٥٧/١)، والبداية والنهاية (٣٨٩/١٠).

شدة حيائه –رضي الله عنه – [1].

وكان إلى لحظة مقتله يصلي ويقرأ القرآن[2].

ولو أردنا أن نذكر الأمثلة من حياة الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – وبيان حرصهم على الأعمال، وأنه لم يحفظ عن واحد منهم الاتكال على شهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– له بالجنة، لطال بنا المقام.

وحسبنا أن نقول: إن الناظر في سيرهم – رضوان الله عليهم – من إسلامهم أو من ولادة بعضهم على الإسلام إلى وفاتهم ليرى أمثلة ناصعة مشرقة في المبادرة على أعمال الخير، وتنفيذ كافة الأوامر، وفي البعد عن أعمال الشر والمعاصي، والاحتراز منها، فرضي الله عنهم، وأرضاهم، وجمعنا بهم في جناته.

ثالثاً: وأما استدلال النجار وغيره ببعض الآثار فهي كالتالي:

أما قول علي بن أبي طالب – وهو عن قتلى الجمل –: والذي نفسي بيده لا يموتن أحد من هؤلاء وقلبه نقي إلا دخل الجنة. فهذا الخبر ليس حجة لهم للآتي:

١ – الخبر رُوي بإسناد ضعيف[3].

٢ – على التنزل بثبوت هذا القول، فقد جاء لفظ هذا الخبر عند المؤرخين[4]: إني لأرجو ألا يكون أحد من هؤلاء، نقي قلبه إلا دخل الجنة، وهذا اللفظ لا غبار عليه، فعلي –رضي الله

---

(١) ينظر: الحلية (٥٦/١)، ومسند أحمد (٧٤/١)، والبداية والنهاية (٣٨٩/١٠).

(٢) ينظر: صحيح تاريخ الطبري (٣٤٤/٣)، والبداية والنهاية (٣١٤/١٠ – ٣١٥)، والكامل في التاريخ (٢٩١/٢ – ٢٩٢، ٢٩٤).

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٦٣/٣)، قال: كتب إلى السري عن شعيب عن سيف بن محمد قال... وهذا إسناد ضعيف للآتي: جملة "كتب إلى السري" تفيد أن الإسناد منقطع، إذ حكمها حكم الوجادة عند أئمة المحدثين، وقد اتفق أئمة المحدثين على منع النقل والرواية بالوجادة، لأنها منقطعة الإسناد. ينظر: مهمات في علوم الحديث لإبراهيم الكليب ص (٢٤٤)، وهذه العلة أهون بما يأتي من علل في الإسناد، إذ في سند هذه الرواية شعيب بن إبراهيم الكوفي، ذكره ابن عدي وقال: ليس بالمعروف، وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة، وفيه ما فيه من تحامل على السلف. الكامل (٤/٤)، وقال الذهبي: رواية كتب سيف عنه، فيه جهالة. الميزان (٢٧٥/٢)، رقم (٣٧٠٤)، والمغني (٢٩٨/١)، رقم (٢٧٦٩)، وفيها سيف بن عمر التميمي، قال أبو حاتم: متروك، وقال النسائي وابن معين: ضعيف، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الإثبات، واتهم بالزندقة. ينظر: الجرح والتعديل (٢٧٨/٤)، والضعفاء والمتروكين للنسائي (١٢٣)، والضعفاء والمتروكين للدارقطني (٢٤٣)، والمجروحين لابن حبان (٣٤٥/١).

(٤) ينظر: تاريخ الطبري (٦٣/٣)، والكامل لابن الأثير (٥١/٢).

عنه – لم يقطع بالجنة لهم أو يضمنها لهم، بل قال: إني لأرجو، وليس من شك في مشروعية الرجاء لجميع المسلمين بدخول الجنة، ثم إن علياً قد اشترط نقاء القلب في رجائه، فقوله ليس على إطلاقه، بل هو رجاء مقيد بنقاء القلب، وليس من شك في أن من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة، كما قال ﷺ –صلى الله عليه وسلم– وقد تقدم ذلك الحديث، ونقاء القلب من الإخلاص لله عز وجل.

وأما ما نقله عن ابن أبي حاتم –رحمه الله–، فالرواية لا تصح[1].

وكيف يُفترى مثل ذلك على هذا الإمام وقد وصفه والده بقوة العبادة فقال: ومن يقوى على عبادة عبد الرحمن؟! لا أعرف لعبد الرحمن ذنباً[2].

ودخل عليه بعض أصحابه في مرض موته، فكان على الفراش قائماً يصلي وركع فأطال الركوع[3]، فمن يزعم أنه يضمن الجنة لغيره ألا يضمنها لنفسه؟ ولم العمل والعبادة والزهد إذن ما دام أنه يملك الضمان بالجنة؟!.

وعلى التنزل فرضاً بصحة هذه القصة ففي سياقها الإنكار على ابن أبي حاتم ذلك، جاء في آخرها: فلما دفن ذلك الرجل دفنت معه تلك الرقعة، فجاءت ريح فحملتها ووضعتها في حجر ابن أبي حاتم، وقد كتب في ظهرها: قد وفينا ما ضمنته، ولا تعد لمثل هذا[4].

وأما ما ذكره النجار عن الحجاج بن يوسف، فالخبر روي بإسناد ضعيف[5]، وعلى فرض صحته فلا يحتج بأقوال مثل الحجاج، وقد بلغ من الظلم والجور حداً عظيماً، حتى

---

(١) في إسنادها الحسين بن أحمد الصفار، كما في السير للذهبي (٢٦٧/١٣)، قال الحاكم فيه: كذاب لا يشتغل به، وقال ابن أبي ذهل: ضعيف، وقال البرقاني: ليس بحجة. ينظر: الميزان (٥٢٨/١)، رقم (١٩٧٤)، والمغني (١٧٠/١)، رقم (١٥٠٧)، والسير (٣٦١/١٦)، وتاريخ بغداد (٨/٨ – ٩).

(٢) ينظر: السير (٢٦٥/١٣)، وتذكرة الحفاظ (٨٣٠/٣)، وطبقات السبكي (٣٢٥/٣).

(٣) ينظر: السير (٢٦٧/١٣)، وتاريخ ابن عساكر (٨٣/١٠).

(٤) ينظر: طبقات السبكي (٣٢٦/٣)، والسير (٢٦٧/١٣)، وتذكرة الحفاظ (٨٣١/٣).

(٥) رواه الطبري في تاريخه (٤٤١/٣)، وعنه ابن الأثير في الكامل (٢٩١/٢)، وينظر: نهاية الأدب للنويري (٢٤/٦)، وهو عند الطبري من طريق أبي مخنف وهو لوط بن يحيى، إخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال مرة: ليس بشيء، وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم. ينظر: الميزان (٤١٩/٣ – ٤٢٠)، رقم (٦٩٩٢)، والمغني (٥٣٥/٢)، رقم (٥١٢١)، والكامل (٩٣/٦).

أن بعض الأئمة قد كفروه[1].

ثم على التنزل بأن قائل هذه المقالة إمام، فيكون ذلك اعتماداً على ما جاء في الأحاديث التي تبين عظيم ثواب وأجر من يقاتل الخوارج، ومنها قولهّ –صلى الله عليه وسلم–: "لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم لاتكلوا عن العمل"[2]، وقال: "إن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة"[3]، وقال علي –رضي الله عنه – : "لولا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمدّ – صلى الله عليه وسلم–"[4]، وقالّ –صلى الله عليه وسلم–: "من لقيهم فليقاتلهم فمن قتلهم فله أفضل الأجر ومن قتلوه فله أفضل الشهادة"[5]، وقال: "طوبى لمن قتلهم وقتلوه"[6].

وقضية الشهادة بالجنة للسلف فيها ثلاثة أقوال، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية فمنهم من لا يشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء، والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص، وهذا قول كثير من أهل الحديث، والثالث: يشهد بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون، كما قالّ –صلى الله عليه وسلم–: "أنتم شهداء الله في الأرض"[7]، وقال: "يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: "بالثناء الحسن والثناء السيئ"[8].

---

(١) ينظر: الإيمان لابن أبي شيبة (٣٢)، رقم (٩٥، ٩٦، ٩٧)، والبداية والنهاية (٥٤٧/١٢)، وتاريخ ابن عساكر (١٨٧/١٢، ١٨٨، ١٨٣)، والسنة للخلال (١١٦٥)، ومصنف ابن أبي شيبة (٣٧٠/١٠).

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٦)، (١٥٦) عن علي –رضى الله عنه–.

(٣) صحيح مسلم (١٠٦٦)، (١٥٤) عن علي –رضى الله عنه–.

(٤) صحيح مسلم (١٠٦٦)، (١٥٥) عن علي –رضى الله عنه–.

(٥) أخرجه الحاكم (١٥٥/٢)، عن أبي سعيد الخدري وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) أخرجه أحمد في المسند (١٥١/١)، عن علي بإسناد حسن لغيره، كما في تحقيق شعيب للمسند (٤٣١/٢)، وهو في مسند أبي يعلى (٣٥٨)، والطيالسي (١٦٥).

(٧) متفق عليه من حديث أنس فأخرجه البخاري (١٣٦٧، ٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩).

(٨) أخرجه أحمد (٤١٦/٣)، عن أبي بكر بن أبي زهير، وابن حبان (٧٣٨٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٣٠٦، ٣٣٠٧)، وابن ماجه (٤٢٢١)، والحاكم (١٢٠/١)، (٤٣٦/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، قال شعيب في تحقيقه للمسند (١٧٣/٢٤): حديث صحيح، وقال الألباني: حسن. ينظر: صحيح ابن ماجه (٤١٢/٢)، رقم (٣٤٠٠).

فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة وأهل النار، وكان أبو ثور[1]، يقول: أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة، ويحتج بهذا[2].

والمقصود أنه ليس في ذلك كله أي حجة للنجار وأمثاله على وجود صكوك الغفران في الإسلام، فإصدار صك من كاهن مقابل مال، يمنح بموجبه الغفران الأبدي لصاحبه مهما اقترف من آثام، هذا أمر ليس له مماثلة لشهادة الأمة أو بعضها على أحد من الأئمة العظام بأنه في الجنة، فهو رجاء منهم لهذا الإمام نظراً لجهوده وأعماله ومآثره وجهاده من صغره إلى وفاته وهو على الإسلام والسنة، وليس فيه إصدار صك مكتوب له بدخول الجنة بعوض مادي، وبأنه أضحى بغير حاجة للأعمال بعده.

وبدعة صكوك الغفران ليس لها نظير في الأديان السماوية كلها، حتى اليهودية بعد تحريفها – فيما أعلم – ليس فيها مبدأ شراء الجنة والغفران الأبدي مقابل اعتراف أو صك مكتوب لأجر معين، وإن كان حصل عند بعضهم بيع بعض زعمائهم لبعض الحجابات الكفيلة بتحقيق السعادة لهم، كما ذكره د. عبد الوهاب المسيري في موسوعته[3].

وقبل أن أختم هذا المبحث أشير إلى أن ما يصدر من بدع ومخالفات من بعض الفرق في هذا المجال ينبغي أن لا يحسب على الإسلام، وإن الإسلام منه براء، فكم من مبتدع أحدث في الدين بدعاً عظيمة، وجعلوا الإسلام بها سبةً، وأضحت مثل هذه البدع

---

(١) هو إبراهيم بن خالد، الإمام المفتي أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه، ولد في حدود سنة (١٧٠هـ)، وأثنى عليه الأئمة خيراً، توفي سنة (٢٤٠هـ). ينظر: السير (٧٢/١٢)، ووفيات الأعيان (٢٦/١)، وتذكرة الحفاظ (٥١٢/٢)، والشذرات (٩٣/٢).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٩٥ – ٢٩٦)، وينظر: (٢٠٣/٦)، ومجموع الفتاوى (٢٨٤/٢)، (٥١٨/١١) (٣١٣/١٨ – ٣١٤)، وشرح العقيدة الطحاوية ص (٥٣٨)، وعلى ذلك يطلق بعض السلف على بعض الأئمة أنهم من أهل الجنة، نحو قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما بحق الحسين بن علي رضي الله عنهما: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي. أخرجه ابن حبان (٦٩٦٦)، وأحمد في الفضائل (١٣٧٢)، وأبو يعلى (١٨٧٤)، وإسناده صحيح. وكان عبد الملك بن مروان –رحمه الله– يقول: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى عروة بن الزبير. ينظر: وفيات الأعيان (٢٥٨/٣)، والوافي بالوفيات (٣٥٩/٦)، ومرآة الجنان لليافعي (٨٦)، والشذرات (٩٨/١)، وكذا قال أبو محمد الباجي عن محمد بن أبي دليم. ينظر: ترتيب المدارك (٤١٩/١)، والديباج (١٣٦/١)، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١٧٠).

(٣) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٩/١٤).

والمساوئ مستمسكاً لدى كثير من اليهود والنصارى وأذنابهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذه البدع التي قد يتمسك بها النصارى على وجود مثل بدعة الاعتراف ما أحدثه غلاة المرجئة[1] من الجهمية من أن الإيمان هو معرفة الله فقط، فليس هناك عمل ولا قول، بل بالمعرفة يكون العبد مؤمناً كامل الإيمان، وإيمانه مثل جبريل وغيره، وليس عليه عمل في الحياة الدنيا، ولا مؤاخذة على تركه الأعمال.

وهم الذين يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة[2].

وذهبوا إلى أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه، وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن، والكفر عندهم شيء واحد هو الجهل، والإيمان شيء واحد وهو العلم[3].

وهم الذين كفرهم الأئمة كالإمام أحمد وغيره[4].

ومنهم بعض الرافضة[5]، فإن النصارى كثيراً ما يستدلون بأقوال الرافضة عند

---

(١) هي إحدى الفرق الكلامية التي غلب عليها البدع في مسائل الإيمان، وانتشرت مقالاتهم في كثير من الفرق، ويقسم العلماء المرجئة إلى عدة أقسام، منهم من يقول: الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وأخرجوا العمل عن مسمى الإيمان وهم مرجئة الفقهاء، ومنهم من قال: الإيمان قول اللسان فقط، وهم الكرامية، ومنهم من قال: الإيمان هو المعرفة فقط، وهم الجهمية، وهو أخطر أنواع الإرجاء، ينظر فيهم: الملل والنحل (١٣٩)، والفرق بين الفرق (١٨٧)، ومقالات الإسلاميين (٢١٣/١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١٠٧).

(٢) ينظر: الملل والنحل (١٣٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨٨/٧ – ١٨٩).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠٩/٧)، والسنة للخلال (١٠٢٧).

(٥) هي فرقة ظهرت بذورها الأولى في أواخر عهد عثمان بن عفان –رضى الله عنه–، ثم أطلق عليها اسم الرافضة لما رفضوا إمامة زيد بن علي بن الحسين –رحمه الله– سنة (١٢٢هـ). وتقوم أصول هذه الفرقة على الإمامة وأنها ركن من أركان الدين، وأن النبيّ –صلى الله عليه وسلم– نص على إمامة علي –رضى الله عنه–، وأن الأئمة معصومون، ويقولون ببدع الرجعة والغيبة والبداء، ويسبون ويكفرون معظم الصحابة – رضوان الله عليهم –. ينظر: الملل والنحل (١٤٦)، ومقالات الإسلاميين (٦٥/١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٧)، وأصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية للدكتور: ناصر القفاري.

مناظراتهم لعلماء الإسلام، قال ابن حزم – عندما ناظر النصارى فاحتجوا له بكتب الرافضة –: "إن الرافضة ليسوا مسلمين، وليس قولهم حجة على الدين، وإنما هي فرقة حدث أولها بعد وفاة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابة من خذله الله لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر[1].

"ويزعم الرافضة أن الأئمة المعصومين – بزعمهم – أعطوا أتباعهم أماناً من النار وصكوكاً من أن يعاقبهم عز وجل بما اقترفوه من الذنوب والآثام، وسبب ذلك زعمهم المحبة والموالاة للأئمة المعصومين"[2].

ويكذبون على بعض أئمة آل البيت، ويزعمون أن بعضهم قال لشيعته: أنتم السابقون إلى الجنة، قد ضمنا لكم الجنان بضمان الله ورسوله[3]، ويكذبون على آخر قوله: إن الله يكرم الشباب، ويستحي من الكهول، فسئل هل هذا لهم خاصة أم لأهل التوحيد؟ فقال: لا والله إلا لكم خاصة دون العالم، وإن لله ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا[4]، وقوله: يبعث الله شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب وعيوب، مبيضة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعاتهم، فلا يزالون يدورون في ظلال الجنة[5].

ويزعمون أن الله حمّل رسول اللهّ –صلى الله عليه وسلم– ذنوب شيعته ثم غفرها له[6].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٦٥).

(٢) من الشيعة وصكوك الغفران، لمحمد مال الله).

(٣) ينظر: بحار الأنوار للمجلسي (٦/٤٣ – ٤٤).

(٤) ينظر: روضة الكافي للكليني (٢٨ – ٣١)، والاختصاص للمفيد (١٠١ – ١٠٤)، وبحار الأنوار (٦٥/٤٨ – ٥١).

(٥) ينظر: بحار الأنوار (٧/١٨٤).

(٦) ينظر: تفسير البرهان (٤/١٩٥)، وليس بمستغرب صدور مثل هذه الأكاذيب على آل البيت من الرافضة، فدين الرافضة يقوم على الكذب، وهم من أعظم الطوائف كذباً وجهلاً، ودينهم يُدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد... ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه، وإلى الكذب المختلق الذي يعلم فساده يقيمونه... ولهذا كانوا أبهت الناس، وأشدهم فرية [مجموع الفتاوى (٤/٤٧١ – ٤٧٢)].

وقد كذب الرافضة في كل شيء، وتجرؤوا على المصطفى –صلى الله عليه وسلم– وكذبوا عليه، فنالوا بذلك الوعيد المترتب على ذلك، قال –صلى الله عليه وسلم–: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من

كما يزعمون أن أهل السنة يتحملون ذنوب الرافضة، قال الأستاذ محمد مال الله: يعتقد الرافضة بأنهم من جنس مميز عن سائر بني آدم، حيث يزعمون أن طينتهم التي خلقوا منها صافية نقيّة، وهي فضل من طينة أئمتهم التي هي مأخوذة من الجنة، ومن هذا الزعم ادعى الرافضة العصمة لأنفسهم من الذنوب شأنهم شأن أئمتهم المعصومين،

النار" [صحيح مسلم (٢) عن أنس، وبنحوه في البخاري (١١٠)، عن=أبي هريرة، ومسلم (٣)، وعن المغيرة عند البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤)، وعن الزبير عند البخاري (٦٠٧)، وعن عبدالله بن عمرو عند البخاري (٣٤٦١)، وعن علي عند البخاري (١٠٦)، ومسلم (١) وغيرهم].

وقد وضع الرافضة – كما قال الحافظ أبو يعلى الخليلي – في فضائل علي –رضى الله عنه– وأهل البيت نحو مائة ألف حديث. ينظر: المنار المنيف لابن القيم ص (١١٦ – ١١٧).

وحتى حمار المصطفى –صلى الله عليه وسلم– لم يسلم من كذبهم ووضعهم الحديث فيه، فهذا الكليني يذكر أن حمار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عفير كلّم رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال: بأبي أنت وأمي، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن أبيه أنه كان مع نوح في السفينة، فقال له نوح: يخرج من صلب هذا الحمار حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار.

وكانت نهاية هذا الحمار – فيما يذكره الكليني – أنه حين توفي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قطع الحمار خطامه، ثم فر يركض حتى أتى بئراً بقباء، فرمى نفسه فيها فمات، فكانت قبره؟! [الكافي (١٨٤/١)، وكتاب الحجة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله –صلى الله عليه وسلم–].

ومما هو متفق عليه أن الكذب عند الشيعة أكثر منه في جميع طوائف أهل القبلة [منهاج السنة (٦٦/١)]، حتى قيل: أكذب من رافضي.

وحتى آل البيت الذين يزعم الرافضة أنهم يوقروهم ويقدسوهم، لم يسلموا من الكذب عليهم، فهذا جعفر الصادق قيل له: إن فلاناً يزعم أنك تبرأ من أبي بكر، فقال: برئ الله من فلان، إني لأرجو أن ينفعني الله بقرابتي من أبي بكر، ثم قال: برئ الله ورسوله من المغيرة بن سعيد، وبيان، فإنهما كذبا علينا أهل البيت [ينظر: الصواعق المحرقة (٨٠ – ٨١)، والسير (٦/ ٢٥٨ – ٢٥٩)، والميزان (١٦١/٤)، والنهي عن سب الأصحاب للمقدسي (٧٧)، وكبار آل البيت على هذا المنهج. ينظر: النهي عن سب الأصحاب ص (٧٤)، والصواعق المحرقة ص (٧٨ وما بعدها)].

والمقصود هنا أن نبين أن الكذب عند الرافضة مما اتفق العلماء عليه، ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الأمر – في سياق موازنته بين الخوارج والرافضة – فيقول: فالخوارج – مع أنهم مارقون يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية – وقد أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بقتالهم، واتفق الصحابة وعلماء المسلمين على قتالهم... ليسوا ممن يتعمد الكذب، بل هم معروفون بالصدق، حتى يقال: إن حديثهم من أصح الحديث، لكنهم جهلوا وضلوا في بدعتهم، ولم تكن بدعتهم عن زندقة وإلحاد، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب.

وأما الرافضة، فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد، وتعمد الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك، حيث يقولون: ديننا التقية، وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه، وهذا هو الكذب والنفاق [منهاج السنة (٦٧/١ – ٦٨)].

وإن الحمق بلغ بالرافضة إلى حد الادعاء بأن الذنوب التي يقترفها بعض الرافضة إنما هي نتاج اختلاط الطينة بين الرافضة وبين غيرهم من البشر، وخصّوا أهل السنة والجماعة بمزيد من تحمل التبعة في ذلك، فالرافضي إذا أذنب فهو مغفور له، ويتحمل المسلم أوزاره التي اقترفها، ويعلم الله تبارك وتعالى أنني لم أقرأ في أي دين أو مذهب مثل هذا الادعاء، ولا يستغرب القراء من ذلك، فالرافضة يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار.

ثم ساق بعض النصوص من كتب الرافضة التي تؤيد ذلك[1].

لقد ضارع الرافضة غلاة المرجئة ممن يقول أنه لا يضر مع الإيمان ذنب في ذلك في هذه البدعة، "فمعرفة الأئمة عندهم كافية في الإيمان ودخول الجنان، وقد عقد صاحب الكافي باباً بعنوان: باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة والكفر لا ينفع معه حسنة"[2].

وبهذا نكون قد انتهينا من بحث: "صكوك الغفران لدى النصارى – دراسة نقدية – في ضوء العقيدة الإسلامية".

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والمضلات، وأن يثبتنا على الإسلام والعمل، وأن يميتنا على الإيمان والسنة، إنه سميع قريب مجيب الدعاء، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) الشيعة وصكوك الغفران، الفصل الرابع – أهل السنة يتحملون ذنوب الرافضة – ص (٦٩).

(٢) أصول الكافي (٤٦٣/٢)، ومؤلفه محمد بن يعقوب بن إسحاق أبو جعفر الكليني الرافضي، مات سنة (٣٢٩هـ). ينظر: السير (٢٨٠/١٥)، والوافي بالوفيات (٢٢٦/٥)، ولسان الميزان (٤٣٣/٥)، وكتاب الكافي عند الرافضة بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة والجماعة، وفيه من الكذب والافتراء والأباطيل الشيء الكثير. وما بين هلالين من كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية للقفاري (٥٧٥/٢)، قال – حفظه الله –: ولعل الرافضة يفارقون المرجئة من حيث إن المرجئة تقول: الإيمان هو المعرفة بالله، وهم يقولون: الإيمان معرفة الإمام أو حبه (٥٧٦/٢).

أبرز نتائج البحث:

(١) صكوك الغفران هي الإعفاء الكامل من العقاب عن الخطايا، ويتم ضمان هذه الصكوك من الكنيسة، بعد أن يدفع المعترف للكنيسة مبلغاً يختلف تحديد مقداره باختلاف حجم ذنوبه. وبعض النصارى يقسم هذه الصكوك إلى قسمين: صكوك غفران للأحياء، وصكوك للأموات.

(٢) صكوك الغفران في حقيقة الأمر أحد الأسرار السبعة المقدسة لدى النصارى – عدا طائفة البروتستانت –، وهو سر الاعتراف للقسيس، مع اختلاف في الشكل وطبيعة العوض المقدم. ودعوى الكاثوليك أنهم لا يصدرون الصكوك حالياً ما هي إلا تدليس وتمويه وتلاعب.

(٣) هناك ارتباط وثيق بين صكوك الغفران وبين سر الاعتراف بشكل خاص وسر التعميد، وقد اعتمد التعميد لمغفرة الخطايا في قرارات المجمع الأول عام ٣٢٥م، وبناءً على بدعة النصارى في تأليه المسيح –عليه السلام– تقرر أن المغفرة للخطايا من صفات عيسى، ويزعمون أنه –عليه السلام– أورث نائبه بطرس هذه السلطة، وورثت الكنيسة عن بطرس هذه السلطة، فأصبح الغفران حقاً مشروعاً للبابوات، بموجب التفويض من نائب عيسى وهو بطرس.

وقد كان الاعتراف بالخطايا يتم بادئ الأمر في العلن، وانطوى في المراحل الأولى منه على ممارسة جملة من الأفعال للغفران، ثم جرت العادة أن يبوح المذنب للقسيس في السر، الذي يُعلن بدوره الاعتراف والتكفير، مع فرض بعض الغرامات المعينة على طالب الغفران، وفي مؤتمر لاتيران الرابع سنة ١٢١٥م، اتخذ هذا السر صورته الشرعية، وأصبح لزاماً على كل نصراني الاعتراف وتقديم العوض المادي، ثم يصدر البابا صك الغفران له. ثم أقرت الكنيسة فيما بعد في مجمع ترنت عقيدة الاعتراف، ولعنت طائفة البروتستانت التي عارضت هذا السر.

(٤) من مفتريات بولس اليهودي وتلاعبه بالنصرانية أنه أضاف التشريع إلى الرؤساء الروحانيين من النصارى بعد أن كان حقاً خالصاً للأنبياء والرسل &، وهذا الأمر من أعظم أسباب انحراف النصرانية.

(٥) يستدل النصارى على هذه البدعة بأن عيسى –عليه السلام– يملك صفة الغفران، وقد فوّضها لبطرس.

وإن الاستدلال بما جاء في الأناجيل فرع عن ثبوت صحة تلك الأناجيل، وقد ثبت بأدلة كثيرة عدم صحة ما ورد في كثير من الأناجيل، وقد قرر ذلك بعض النصارى.

كما أن عيسى –عليه السلام– لم يسبق أن أمر بالغفران في حياته، أو أقره، ولم يثبت أن أحداً من أصحابه اعترف أمامه بالذنوب وطلب منه المغفرة.

وقد جاءت نصوص كثيرة في أناجيلهم تقرر عبودية المسيح لله تعالى، وأنه لا يملك شيئاً من خصائص الله تعالى، ومن هذه النصوص ما هو خاص في صفة الغفران، وأنها لله –عز وجل– وحده لا شريك له.

(٦) ما نسبه النصارى إلى المسيح –عليه السلام– من نصوص في ذلك افتراء وكذب، وبعض العبارات – إن صحت نسبتها إليه – فهي ليست حجة لهم. وما جاء في قصة بطرس؛ فالصحيح أن هذه القصة كغيرها زيادة من رؤساء الكنيسة ليزيدوا من سلطاتهم ويثبتوها. وفي هذه القصة من التناقض والركاكة ما يستحيل أن تنسب إلى عاقل فضلاً عن نسبتها إلى عيسى – عليه السلام–.

(٧) غلا النصارى في البابوات، وادعوا أنهم يملكون الغفران من الذنوب، وأنهم معصومون، والناظر في تاريخ البابوات يجد الفضائح الأخلاقية المشينة من قتل وسرقة وزنا ورشوة وشرب خمر ولواط وغير ذلك.

(٨) تتناقض بدعة صكوك الغفران مع أصول عقدية لدى النصارى مثل الخلاص والفداء والتعميد، ويرفضها صاحب عقل ونظر، وإن تناقضها ورفض العقل لها كان أحد الأسباب التي أدت بعض النصارى إلى هجر النصرانية واعتناق الإسلام بفضل الله.

(٩) لم يعد للأعمال أي قيمة عند النصارى، وأدت هذه البدعة إلى مزيد من الفجور واقتحام المعاصي والآثام دون أدنى رادع.

(١٠) رفض الكثير من النصارى قبل مارتن لوثر مهازل الكنيسة وتسلطها وطغيانها وإصدارها هذه الصكوك، ولكن لم تنتج معارضتهم تأثيراً فاعلاً إلى أن أتى مارتن لوثر وسانده بعض الأمراء، وثاروا على الكنيسة، وكانت الصكوك السبب الأكبر الذي اعتمدوا عليه في الثورة على الكنيسة وطغيان رجالها.

(١١) لم يرد مارتن لوثر بثورته على الكنيسة هدم الكنيسة الكاثوليكية أو الخروج على أصولها العقدية الشهيرة كالتثليث والصلب وغيره، وإنما أراد إصلاح حال رجالها حسب رؤيته فحسب، وبالتالي فإن في آراء البروتستانت من الخطورة ما لا يقل عن آراء الكاثوليك.

(١٢) حاول بعض الكتاب والمفكرين الربط بين حركة مارتن لوثر وبين الإسلام، والذي يظهر أن في مسألة الغفران كانت الثورة على الكاثوليك محاولة للرجوع إلى أوائل النصرانية.

(١٣) صفة المغفرة لله –عز وجل– صفة فعلية ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة، والأدلة عليها كثيرة، ومن الصفات لله تعالى صفة العفو، وهناك فرق بين العفو والغفران.

(١٤) إسقاط العقوبة عن المذنب يكون في الإسلام بعدة أسباب، وهي: التوبة

والاستغفار، والحسنات الماحية، وفتنة القبر، ودعاء المؤمنين، وما يهدى إلى الميت من ثواب وصدقة وقراءة، وأهوال يوم القيامة، والقنطرة، والشفاعة، وعفو أرحم الراحمين بلا سبب.

(١٥) ليس في الإسلام خطيئة موروثة تحتاج لمن يكفرها، وليس فيه وسيط أو شفيع لقبول المغفرة والتوبة، والإسلام يأمر أن يتوب العبد لله وحده، ويعترف بذنوبه لله وحده، وأمر كذلك بستر الإنسان المذنب على نفسه.

(١٦) يدعي بعض النصارى وبعض الكتاب المعاصرين وجود صكوك غفران في الإسلام، ويزعمون أن الإسلام هو من ابتدعها، ويستدلون ببعض النصوص في تبشير النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بالجنة لبعض الصحابة، وبما جاء من آثار عن بعض الصحابة والسلف، والعجب من ترديد مثل هذه الدعوى والمقطوع به تاريخياً أن بدعة الصكوك وجذورها وأصولها كانت قبل ولادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– بمئات السنين.

وإن المقارنة بين الصكوك وبين شهادة المصطفىّ –صلى الله عليه وسلم– بالجنة لبعض الصحابة مقارنة عجيبة ظالمة متهافتة، فالإسلام يشترط الإيمان والعمل إلى الممات، وعقيدة الشفاعة لدينا تناقض مبدأ الصكوك، إضافة إلى أن صاحب الصك يضمن الجنة مهما اقترف من أعمال، وفي الإسلام حين يقع العبد في نواقض الإيمان (الكفر والشرك والنفاق)، يخرج من الملة، وتحبط أعماله، ويصبح مستحقاً للتخليد في النار – والعياذ بالله –.

وشهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– لبعض الصحابة بالجنة هو وحي من الله تعالى، يجب تلقيه بالقبول والتسليم، وليس فيه أنهم معصومين، بل لهم ذنوب يغفرها الله لهم بأسباب كثيرة، ولو نظرنا وتأملنا سير الصحابة لوجدنا أعمالاً عظيمة إلى وقت وفاتهم، ولم يروى عن أحد منهم – ولو بإسناد ضعيف – أنه اتكل على شهادة النبيّ –صلى الله عليه وسلم– له بالجنة، ولم يعمل. وما استدل به المخالفون من بعض الآثار فهي لا تصح، وعلى التنزيل بثبوتها فليست حجة لهم.

(١٧) ابتدعت بعض الفرق في الإسلام بدعاً عظيمة تتعلق بهذه المسألة، والإسلام منها بريء، مثل بدع غلاة المرجئة والرافضة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ملحق

نماذج لبعض صكوك الغفران

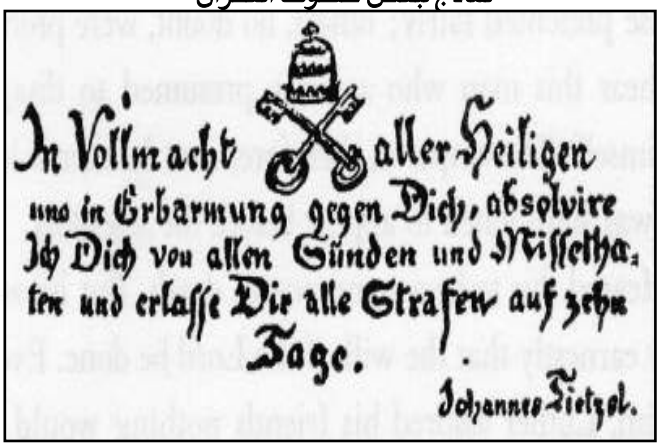

- Eng: In warrant of all saints and in mercy, I absolve you from all sins and misdeeds and pardon you from all punishments for ten days.
- باسم رحمة جميع القديسين أنا أعفيك من كل خطاياك وآثامك، وأرفع عنك الذنوب وجميع العقوبات لمدة عشرة أيام.

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Indulgence.png

* * *

* حاولت قدر المستطاع ترجمة هذه الصكوك من اللاتينية للإنجليزية ثم للعربية، وبعضها كان خطه سيئا للغاية ولا يمكن قراءته فاكتفيت بوصفه من مصدره مع ترجمة هذا الوصف مع وضع رابط لكل صك يوضح الموقع الذي تم أخذ هذا الصك منه.

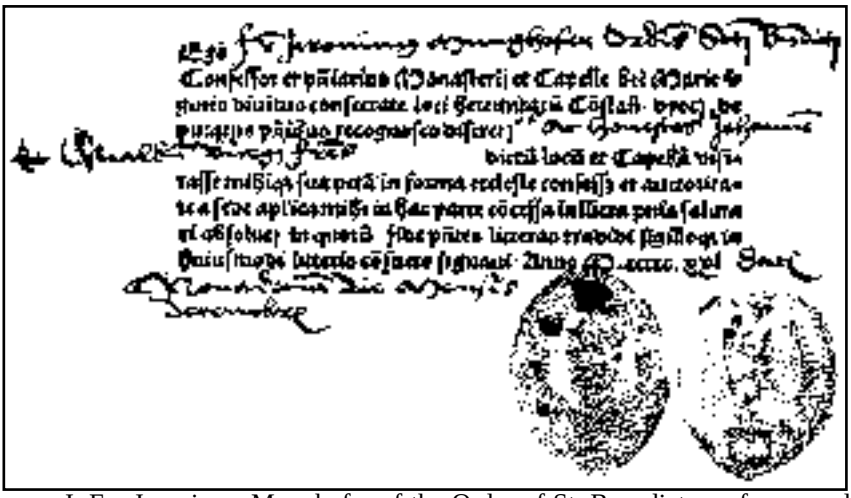

- I, Fra Jeronimus Munghofer of the Order of St. Benedict, confessor and penitentiary of the monastery and chapel of the Blessed Virgin Mary that by the will of God has been consecrated at Einsiedeln in the Diocese of Constance, acknowledge that the worthy and honourable brothers Johannes and Oswald Bürgi have visited the said place and chapel, have confessed their sins to me in the form established by the Church and, after imposition of a salutary penance, have by the authority granted to me in this region by the Apostolic See been absolved. In witness whereof I have delivered the present document and marked it with the usual seal for such documents. Given in the year ١٥٢١, on the nineteenth day of the month of December.

- أنا الكاهن جيرونى موسى مانجوفير المتلقي للاعتراف، وباسم القديس بينديكت داخل دير وكنيسة القديسة مريم العذراء المباركة وبإذن الله نعترف بأن الإخوة الشرفاء يوحنا وأوزو برجي قد زاروا المكان و قالوا معترفين بخطاياهم إلي في الشكل الذي وضعته الكنيسة ، و بعد الاعتراف المفيد للتكفير عن ذنوبهم و بواسطة السلطة الممنوحة لي في هذه المنطقة الرسولية قد برأتهم من خطاياهم. وإثباتاً لذلك لقد سلمتهم هذه الوثيقة ووضعت معها الختم المعتاد لمثل هذه الوثائق. منحت في عام ١٥٢١م في ١٩ ديسمبر.

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Indulgence٢.png



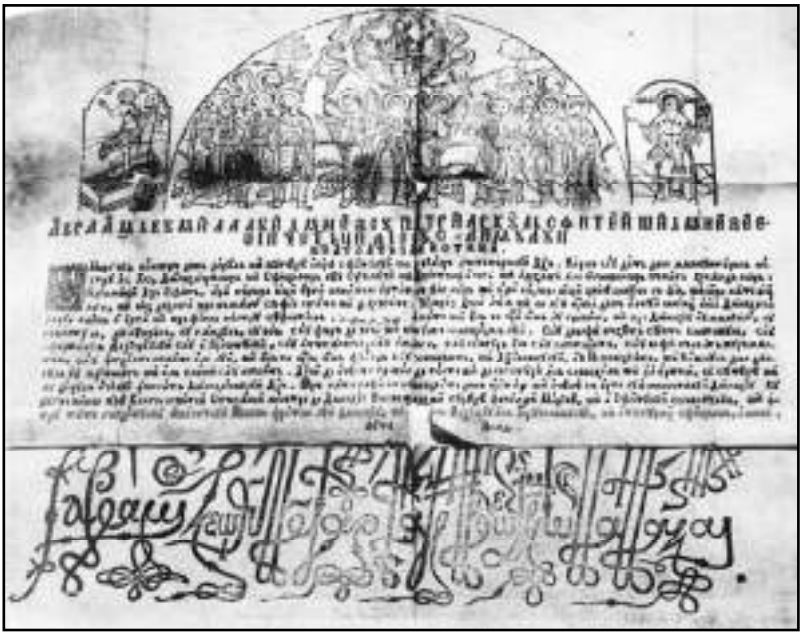

- ("١٨th century Orthodox indulgence granted by the patriarch Abraham ("Avramie") of Jerusalem, sold by the Greek monks for the "forgiving of the sins"" The original is located at the History Museum of Bucharest ==Source== *Ştefan Ionescu, "Bucureşt)
- صك غفران أرثوذوكسي منح بواسطة البطريك أبراهام من القدس وقد تم بيعه بواسطة كاهن يونانى من أجل التكفير عن الخطايا، النسخة الأصلية موجودة بالمتحف التاريخي ببوخاريست. المصدر: ستفان لونيسكو.

http://commons.wikimedia.org/wiki/Category:Indulgences

* * *



- Letter indulgences by papal permission of Clement IV in selling indulgences receivers for the construction of the Cathedral of Utrecht
- صك غفران بإذن من البابا كليمنت الرابع ببيع الصكوك من أجل إنشاء كاتدرائية أوتريخت.

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Pauselijke_toestemming_van_Clemens_IV_voor_het_verkopen_van_aflaten.jpg

* * *

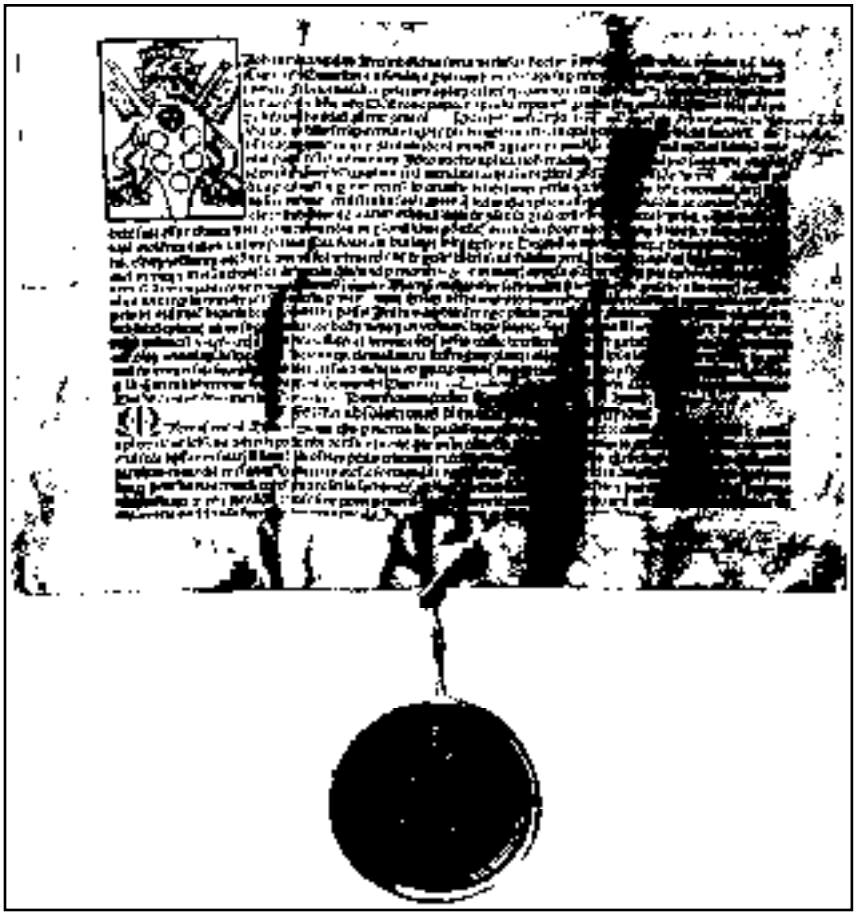

- English: Letter of indulgence issued by Johannes Angelus Arcimboldus in Sweden in the ١٥٠٠s.
- صك غفران صادر بواسطة يوحنا انجيليس في السويد سنة ١٥٠٠م.

http://runeberg.org/nfba/٠٧٦٣.html

* * *

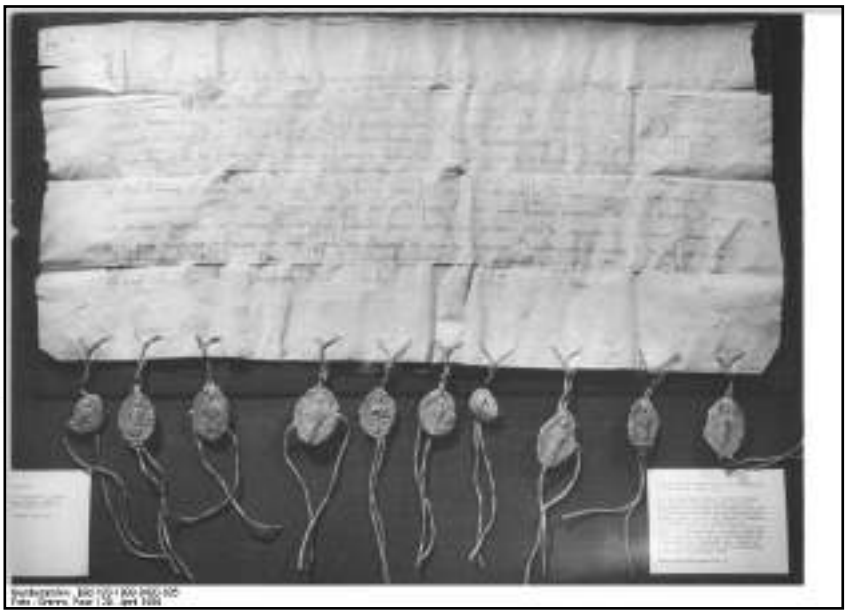

- This papal letter of indulgence of the College of Cardinals in Rome on ١٤ January ١٢٩٢ for the parish church in Berlin written, this document provides the earliest known letter of indulgence in the Mark Brandenburg dar.

- صك غفران بابوي من كلية الكرادلة في روما بتاريخ ١٤ يناير سنة ١٢٩٢ لكنيسة الرعية في كتابات برلين. هذه الوثيقة توضح خطابات صكوك الغفران المتعارف عليها حديثا فى في دار مارك براندنبورغ

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Bundesarchiv_Bild_١٨٣-١٩٨٩-٠٤٢٠-٠٢٦,_P%C٣٪A٤pstlicher_Ablassbrief_vom_١٤._Januar_١٢٩٢.jpg

* * *



- by Lucas Cranach the Elder: The Pope is shown as the Antichrist, signing and selling indulgences

- صورة بواسطة لوكاس كراناش الأكبر توضح الصورة أن البابا هو المسيح الدجال الذي يقوم ببيع وتوقيع صكوك الغفران للناس تعبيرا من الرسام عن غضب الشعب.

* * *



- The sale of indulgences by Jörg Breu the Elder of Augsburg, circa ١٥٣٠
- بيع صكوك الغفران.. أوجسبرج كيراك سنة ١٥٣٠م بواسطة جورج بيرو الأكبر.

* * *



- Caricature of Tetzel's sale of indulgences. The last two lines of the German poem recount the famous verse attributed to Tetzel: "As soon as the coin in the coffer rings, / The soul at once into Heaven springs.

- رسم كاريكاتيري لبيع القس حنا تتزل لصكوك المغفرة... الكاريكاتير موضح به أبيات شعرية ألمانية وقد ذكر في آخر بيتين شعريين الكلمات الشهيرة لتتزل و التي تقول..... إنه بمجرد وضع العملة النقدية في سلة النقود... فإن روحك ستكون يوما في ربيع الجنات.

* * *

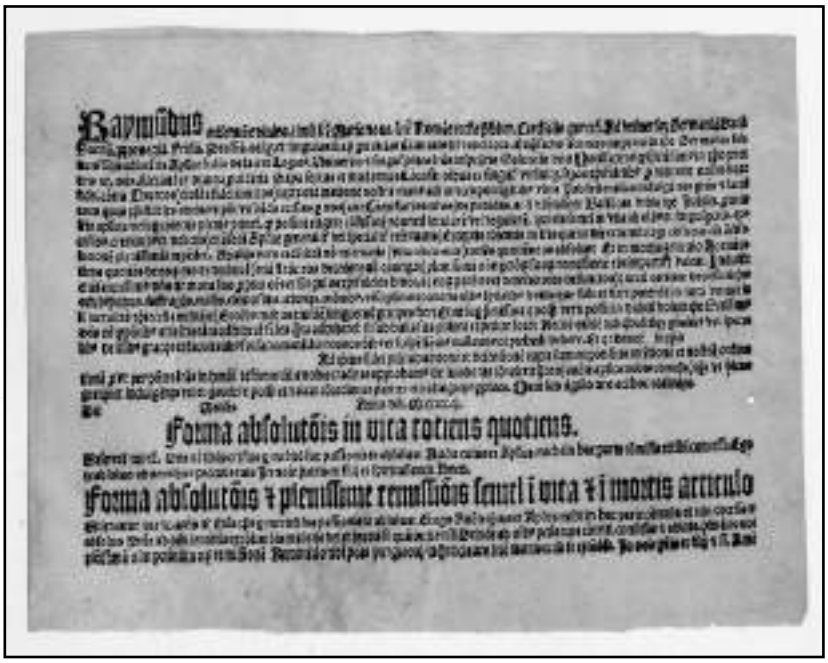

- With a letter of indulgence the pope pronounced to the believer the remission of sins in the hereafter. From the selling of these letters the church drew a high income. After the invention of the printing press, indulgence letters were printed in large numbers.

- بمجرد الإعلان عن صكوك المغفرة و التي تم الإعلان عنها بواسطة البابا للذين يؤمنون بالغفران من الخطايا في الآخرة. ومن مبيعات هذه الصكوك قامت الكنيسة بجمع دخل كبير. وبعد اختراع ماكينة الطبع.. تم طبع كميات كبيرة من رسائل صكوك الغفران

عليه -http://www.dhm.de/ENGLISH/sammlungen/dokumente١/do٩١_١١٢.html

السلام-top

* * *



- Eng: Perpetual everyday plenary indulgence on every occasion for the living and the dead
- Latin:Indulgentia plenaria perpetua quotidiana toties quoties. pro vivis et defunctis
- صكوك غفران عامة و دائمة منحة من الرب لكم في كل المناسبات، للأحياء و الأموات.

* * *

فهرس المصادر والمراجع

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، لابن بطة، تحقيق رضا نعسان معطي، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٩٩٤م ـ ١٤١٥هـ.

(٢) أبجد العلوم، لصديق حسن خان، عناية عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٧م، دار الكتب العلمية.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، للزبيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٥) الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٦) أحكام القرآن، لابن العربي. تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

(٧) إحياء علوم الدين، للغزالي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٨هـ ط أخرى بدار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٨) الاختصاص، للمفيد بن النعمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٩) الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(١٠) الأدب المفرد للبخاري، نشره قصي محب الدين، ط القاهرة، ط٢، ١٣٧٩هـ.

(١١) إرواء الغليل من تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، بإشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق علي البجاوي، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

(١٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(١٤) أسرار الكنيسة السبعة، لحبيب جرجس، محمل من الإنترنت.

(١٥) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، لعلي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، مطبعة دار العالم العربي، ١٩٧١م.

(١٦) الإسلام والأديان (دراسة مقارنة)، د. مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

(١٧) الإسلام والمسيحية في الميزان، شريف محمد هاشم، محمل من الإنترنت.

(١٨) الأسماء والصفات، للبيهقي. تحقيق عبد الله محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.

(١٩) الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لابن حجر، تحقيق: د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

(٢٠) أصالة التفكير الفلسفي في الإسلام، إعداد قسم الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، مراجعة د. مصطفى حلمي، ود. عبد اللطيف العبد، ود. محمد الجليند، طبعة مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ط١، ٢٠٠٧م.

(٢١) أصول التاريخ الأوربي الحديث، أشرف صالح محمد سعيد، دار واتا للنشر الرقمي، الكويت، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية، د. ناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.

(٢٣) الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون، وإدغار روين وكارل غوستاف يونغ، وترجمة سميرة عزمي الزين، نشر المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ت.
(٢٤) أضواء على المسيحية، لمحمد متولي شلبي، نشر الدار الكويتية، الكويت، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م.
(٢٥) إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
(٢٦) الاعتصام، للشاطبي، تحقيق سليم الهلالي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، السعودية، ط٤، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
(٢٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، مع المرشد الأمين، تأليف طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى الهواري، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
(٢٨) إعلام الموقعين، لابن القيم، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ط أخرى بالكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
(٢٩) الأعلام، للزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
(٣٠) إغاثة اللهفان، لابن القيم، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.
(٣١) أفكار ورجال (قصة الفكر الغربي)، جرين برنتن، ترجمة محمود محمود، مصر، ١٩٦٥م.
(٣٢) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تحقيق وتعليق د. ناصر العقل، شركة العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.
(٣٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
(٣٤) الله واحد أم ثالوث؟ لمحمد وجدي مرجان، دار النهضة العربية، بالقاهرة، ١٩٧٢م.
(٣٥) إنباء الغمر بأنباء العمر، لابن حجر، طبع بمراقبة د. محمد عبد المعين خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
(٣٦) الإنجيل والصليب، لعبد الأحد داود، نقله من التركية إلى العربية مسلم عراقي كما في طرة النسخة، طبع في القاهرة، سنة ١٣٥١هـ، وليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.
(٣٧) إنجيل برنابا، ترجمة د. خليل سعادة، وتقديم: محمد رشيد رضا، ١٩٠٨م، وط أخرى بتحقيق ونشر د. أحمد غنيم، طبعة القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، وط أخرى بتحقيق سيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
(٣٨) إنجيل متى (دراسة السند والمتن)، رسالة ماجستير، بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة الملك سعود، لعبد الله المطرود، ١٤١٥هـ.
(٣٩) أهم عوامل انحراف النصرانية، رسالة ماجستير، شعبة العقيدة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، لإبراهيم بن خلف التركي، ١٤٠٥هـ.
(٤٠) أوربا في العصور الحديثة، د. جلال يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط١، ١٩٨١م.
(٤١) إيضاح المكنون (ذيل كشف الظنون)، لإسماعيل باشا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
(٤٢) الإيمان، لابن أبي شيبة، تحقيق الشيخ الألباني، المطبعة العمومية، دمشق، ١٣٨٥هـ.
(٤٣) إيماني (قضايا المسيحية الكبرى)، للقس د. إلياس مقار، محمل من الإنترنت.
(٤٤) بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، للمجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، على نفقة دار الكتب الإسلامية، طهران.
(٤٥) البحر الزخار (مسند البزار)، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ومكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
(٤٦) البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١،

١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
(٤٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
(٤٨) بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
(٤٩) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ. ١٩٦٥م.
(٥٠) بين الإسلام والمسيحية، لأبي عبيدة الخزرجي، تحقيق د. محمد شامة، مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.
(٥١) تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.
(٥٢) تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان، دار الهلال، القاهرة، ١٣٠٦هـ.
(٥٣) تاريخ الأقباط، للمقريزي، تحقيق عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، ودار الاعتصام، الدار البيضاء، ط١، ١٤١٦هـ. ١٩٩٥م.
(٥٤) تاريخ أوربا في العصور الوسطى، أ.هـ. فشر، ترجمة مصطفى زيادة، طبعة مصر، ١٩٦٦م.
(٥٥) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
(٥٦) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
(٥٧) تاريخ الطبري، المطبعة الحسينية المصرية، على نفقة السيد محمد عبداللطيف الخطيب، ط١، د.ت.
(٥٨) تاريخ العالم، جمع جون أ. هامرتن، ترجمة إدارة الترجمة، ط مصر، د.ت.
(٥٩) تاريخ علماء الأندلس، لابن الفرضي، طبعة القاهرة، ١٩٦٦م.
(٦٠) تاريخ الفلسفة الغربية، لبرتر أندرسل، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م.
(٦١) تاريخ كنائس آسيا والهند في القرون الوسطى، للقس بركت الله، طبعة لاهور، ١٩٦٢م.
(٦٢) تاريخ كنيسة روما، للقس خورشيد عالم، طبعة لاهور، ١٩٦١م.
(٦٣) تاريخ الكنيسة، للقس جون لوريمر، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة المسيحية، د.ت، ط أخرى ترجمة فهيم عزيز، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٢م.
(٦٤) تاريخ الكنيسة المسيحية، أفغراف سمير نوف، تعريب الكسندروس جما، طباعة سوريا، مطرانية الروم الأرثذوكس، ١٩٦٤م.
(٦٥) تاريخ المدينة، لابن شبه، تحقيق فهيم محمد شلتوت، دار الأصفهاني للطباعة، جدة، ١٣٩٩هـ. ١٩٧٩م.
(٦٦) تاريخ المسيحية في العصور الوسطى، لجاد المنفلوطي، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، د.ت.
(٦٧) تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، تحقيق محب العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.
(٦٨) تحفة الأديب في الرد على أهل الصليب، لابن الترجمان، تحقيق عمر وفيق، دار البناء الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
(٦٩) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة العبادي، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.
(٧٠) تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل، لأبي البقاء الهاشمي، تحقيق د. محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م، بإشراف الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

(٧١) تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
(٧٢) ترتيب كتاب العين، للخليل بن أحمد، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، وتصحيح أسعد الطيب، نشر انتشارات أسوة، إيران، ط١، ١٤١٤هـ.
(٧٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للقاضي عياض، تحقيق: أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ودار مكتبة الفكر، طرابلس، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
(٧٤) تفسير البغوي (معالم التنزيل)، تحقيق مجموعة محققين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
(٧٥) تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
(٧٦) تفسير ابن الجوزي (زاد المسير)، تقديم زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
(٧٧) تفسير الطبري (جامع البيان)، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
(٧٨) تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
(٧٩) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)، تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة دار العلوم، قطر، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.
(٨٠) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - تحقيق د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
(٨١) التفسير الكبير، لابن تيمية، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(٨٢) تفسير ابن كثير، تحقيق مجموعة محققين، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
(٨٣) تقريب التهذيب، لابن حجر، اعتنى به محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ودار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
(٨٤) التمهيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد الفلاح، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ط أخرى تحقيق أسامة إبراهيم، نشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
(٨٥) تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٢٥هـ.
(٨٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
(٨٧) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ومراجعة محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والترجمة، والدار القومية العربية للطباعة، مصر، د.ت.
(٨٨) الثقات، لابن حبان، عناية محمد عبد المعين خان، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند، ١٩٨٣م.
(٨٩) الجرح والتعديل، للرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد، الهند، ط١، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م، ودار الكتب العلمية، بيروت.
(٩٠) جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق محمد السورتي وسالم كرنكو، طبعة حيدرأباد، ١٣٤٤هـ - ١٣٥٢هـ.
(٩١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، تحقيق د. علي حسن ناصر، و د. عبد العزيز

العسكر، و د. حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
(٩٢) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، ملحقة بالطبعة المحققة من المسند، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
(٩٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصبهاني، تحقيق محمد ربيع المدخلي ومحمد أبو رحيم، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
(٩٤) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
(٩٥) حضارة أوربا في العصور الوسطى، د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
(٩٦) حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، للقس فايز فارس، دار الثقافة المسيحية، مطبعة القاهرة الجديدة، د.ت.
(٩٧) حلية الأولياء، لأبي نعيم، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.
(٩٨) حياة قسطنطين العظيم، يوسابيوس القيصري، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، د.ت.
(٩٩) الخصائص العامة للإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
(١٠٠) خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية، لحبيب جرجس، محمل من الإنترنت.
(١٠١) دائرة المعارف، للمعلم بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
(١٠٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٠م.
(١٠٣) دراسات في الأديان (اليهودية والنصرانية)، د. سعود الخلف، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط٤، ١٤٢٥هـ.٢٠٠٤م.
(١٠٤) دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، د. عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٢م.
(١٠٥) دراسات في الفكر الإسلامي، د. عرفان عبد الحميد، دار البشير، عمان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
(١٠٦) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، لموريس بوكاي، دار المعارف، لبنان، ط٤، ١٩٧٧م.
(١٠٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر. تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م، مطبعة المدني.
(١٠٨) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، تحقيق د. عبد الله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
(١٠٩) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر، دار الثقافة المسيحية، مطبعة دار نوبار، مصر، د. ت.
(١١٠) الدعاء، للطبراني، تحقيق د. محمد سعيد البخاري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
(١١١) دعوة التقريب بين الأديان (دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية)، د. أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.
(١١٢) دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
(١١٣) الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار، ط١، ١٤٠١هـ -١٩٨١م، مكة

المكرمة، ليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة.
(١١٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، د.ت.
(١١٥) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق د. وليد عرفات، طبع أمناء سلسلة جب التذكارية، ١٩٧١م، ط أخرى تحقيق سيد حنفي وحسن الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
(١١٦) ذيل مرآة الزمان، لليونيني، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٧٤هـ.
(١١٧) رسالة عبد المسيح بن إسحاق الكندي إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي يدعوه فيها إلى النصرانية، رداً على رسالة الهاشمي إليه يدعوه فيها إلى الإسلام، طبع مصر، ١٨٩٥م.
(١١٨) رسالة خاتم النبيين محمد – صلى الله عليه وسلم –، ضرورتها وطرائق إثباتها ولوازمها، د. ثامر الغشيان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
(١١٩) الروض الأنف، للسهيلي، تحقيق وشرح عبد الرحمن الوكيل، دار النصر للطباعة، القاهرة، ودار الكتب الحديثة، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
(١٢٠) الروضة من الكافي، للكليني، دار الأضواء، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، تعليق علي أكبر الغفاري.
(١٢١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
(١٢٢) الزهد، للإمام أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
(١٢٣) الزهد، لهناد بن السري، تحقيق عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
(١٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للشيخ الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
(١٢٥) سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ في الأمة، للشيخ الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
(١٢٦) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، المطبعة الميرية، القاهرة، ١٣٠١هـ- ١٨٨٣م.
(١٢٧) السنة لابن أبي عاصم، تحقيق د. باسم فيصل جوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ط أخرى بتخريج الألباني، ظلال الجنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
(١٢٨) السنة، للخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
(١٢٩) السنة، لعبد الله بن أحمد، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
(١٣٠) سنن أبي داود، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
(١٣١) سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
(١٣٢) سنن الدارقطني، مطبعة حديث أكادمي، باكستان، د.ت.
(١٣٣) سنن الدارمي، تحقيق عبد الله هاشم المدني، نشر حديث أكادمي، باكستان، توزيع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
(١٣٤) السنن الكبرى، للبيهقي، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٤٤هـ، مطابع دار صادر، بيروت.
(١٣٥) السنن الكبرى، للنسائي، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
(١٣٦) سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة الحلبي، مصر، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.
(١٣٧) سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٤٨هـ- ١٩٣٠م.

(١٣٨) سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م.
(١٣٩) السير والمغازي، لابن إسحاق، تحقيق محمد حميد، طبعة تركيا، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
(١٤٠) السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
(١٤١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.
(١٤٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ.
(١٤٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، محمل من الإنترنت.
(١٤٤) شرح صحيح البخاري، للكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
(١٤٥) شرح صحيح مسلم، للنووي، إشراف حسن عباس قطب. دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
(١٤٦) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق د. عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
(١٤٧) شرح العقيدة الواسطية، للهراس، تخريج وضبط علوي السقاف، دار الهجرة للنشر الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
(١٤٨) شرح مشكل الآثار، للطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
(١٤٩) الشريعة، للآجري، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ، وط أخرى بتحقيق د. عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.
(١٥٠) شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
(١٥١) الشيعة وصكوك الغفران، لمحمد مال الله، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٤١١هـ.
(١٥٢) صحيح البخاري (ينظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني).
(١٥٣) صحيح تاريخ الطبري، تحقيق محمد طاهر البرزنجي، ومراجعة محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
(١٥٤) صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.
(١٥٥) صحيح سنن الترمذي، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
(١٥٦) صحيح سنن أبي داود، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
(١٥٧) صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
(١٥٨) صحيح مسلم، تحقيق وتعليق د. موسى لاشين، و د. أحمد عمر هاشم، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
(١٥٩) صفة الصفوة، لابن الجوزي، تحقيق وتخريج محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
(١٦٠) صلة الإسلام بإصلاح المسيحية، لأمين الخولي، بحث قدم وألقيت خلاصته في مؤتمر تاريخ الأديان الدولي السادس المنعقد بمدينة بروكسل من ١٦ إلى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥م، مطبعة الأزهر، القاهرة، ١٩٣٩م.
(١٦١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي، تحقيق عبدالوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. ط أخرى بتحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ -

١٩٩٧م.
(١٦٢) الضعفاء والمتروكين، للنسائي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، ط١، ١٣٩٦هـ.
(١٦٣) الضعفاء والمتروكين، للدارقطني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
(١٦٤) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، مطبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
(١٦٥) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
(١٦٦) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
(١٦٧) الطبقات الكبرى، لابن سعد، تقديم إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
(١٦٨) العبادة المسيحية، للأرشمندريت إلياس، مكتبة السائح، طرابلس، ١٩٨٥م.
(١٦٩) العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق فؤاد سيد، سلسلة تصدرها دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦١م.
(١٧٠) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، لمحمد التنير، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.
(١٧١) العقد الفريد، لابن عبد ربه، شرح وضبط أحمد أمين وأحمد الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٣٨١هـ.
(١٧٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم –، د. ناصر علي الشيخ، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
(١٧٣) علم التوحيد، د. عبد العزيز الربيعة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ليس على الكتاب بيان الجهة الطابعة، تقديم الشيخ د. صالح الفوزان.
(١٧٤) العلمانية (نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة)، د. سفر الحوالي، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
(١٧٥) العلمانية، هل الإسلام بحاجة إليها؟ د. جمال فاروق جبريل محمود، مجلة كلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر، فرع الزقازيق، عدد (٢٢)، سنة ٢٠١٠م.
(١٧٦) علماء نجد خلال ثمانية قرون، الشيخ عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
(١٧٧) عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق د. فاروق حمادة، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
(١٧٨) الغفران بين الإسلام والمسيحية، لإبراهيم خليل أحمد، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
(١٧٩) الفارق بين المخلوق والخالق، ومعه ذيل الفارق، لعبد الرحمن باجه زاده، علق عليه عصام الحرستاني، دار عمان، عمان، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
(١٨٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر. تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وتصحيح الشيخ محب الدين الخطيب، وترقيم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ.
(١٨١) فتح القدير، للشوكاني، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، وتوزيع دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
(١٨٢) الفرق بين الفرق، للبغدادي، عناية إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
(١٨٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.
(١٨٤) فضائل الصحابة، للإمام أحمد، تحقيق وصي الله عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٣هـ.

(١٨٥) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، لويس عرديه، و.ج. قنواتي، ترجمة صبحي الصالح وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٦٧م.
(١٨٦) الفهرست، لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، طبعة طهران، ١٣٩١هـ.
(١٨٧) فهرس الفهارس، للكتاني، عناية د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
(١٨٨) فوات الوفيات والذيل عليها، للكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
(١٨٩) قاموس الكتاب المقدس، لنخبة من الأساتذة النصارى، دار الثقافة المسيحية، ط٢، د.ت.
(١٩٠) القاموس المحيط، للفيروزآبادي. تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
(١٩١) قصة الحضارة، لول ديورانت، ترجمة محمد بدران، إدارة الثقافة بجامعة الدولة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٧م.
(١٩٢) قصة الكنيسة القبطية، لإيريس حبيب، مطبعة الكرنك، الإسكندرية، ط٥، ١٩٨٤م.
(١٩٣) قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل، للمحبي، تحقيق: عثمان الصيني، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
(١٩٤) القصيدة الرائية الكبرى، للنبهاني، طبعة قديمة ليس عليها بيان الجهة الطابعة أو تاريخها.
(١٩٥) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ ابن عثيمين، نشر وتوزيع مكتبة الكوثر، الرياض، ١٤٠٦هـ.
(١٩٦) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط٤، ١٤١٤هـ.
(١٩٧) الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
(١٩٨) الكتاب المقدس لدى اليهود والمنسوب إلى التوراة ومعه الكتاب المقدس لدى النصارى والمنسوب إلى الإنجيل، إصدار دار الكتاب المقدس في العالم العربي، د.ت.
(١٩٩) كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
(٢٠٠) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
(٢٠١) الكشف والبيان، للثعلبي، محمل من الإنترنت.
(٢٠٢) الكليات، (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، للكفوي. تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
(٢٠٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للهندي، ضبطه بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
(٢٠٤) لسان العرب لابن منظور، مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنباء والنشر، مصر.
(٢٠٥) لسان الميزان، لابن حجر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ.
(٢٠٦) لماذا أسلم هؤلاء القساوسة؟، للشوادفي الباز، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
(٢٠٧) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ لأبي الحسن علي الندوي، دار القلم، الكويت، ط١، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
(٢٠٨) ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبدة قاسم، مطبعة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.
(٢٠٩) المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
(٢١٠) المجروحين، لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

(٢١١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، عنيت بنشره مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.
(٢١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
(٢١٣) مجمل اللغة، لابن فارس، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
(٢١٤) محاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، مطابع العزيزية للأوفست، ط٤، ١٤٠٤هـ.
(٢١٥) مختار الصحاح، للرازي، مؤسسة علوم القرآن ومكتبة النووي، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
(٢١٦) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، والمختصر لابن الموصلي، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
(٢١٧) مختصر علم اللاهوت، لفرنسيس أيوب، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ت.
(٢١٨) المدخل إلى العهد الجديد، للقس فهيم عزيز، دار الثقافة المسيحية ومطبعة دار الجيل، بيروت، د.ت.
(٢١٩) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
(٢٢٠) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والمعتقدات، لابن حزم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
(٢٢١) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لابن عبد الحق، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.
(٢٢٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، تحقيق صدقي العطار، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د.ت.
(٢٢٣) مسائل أحمد، لابن هانئ، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.
(٢٢٤) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.
(٢٢٥) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، لإبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٤م.
(٢٢٦) مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية، د. محمد السحيم، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
(٢٢٧) مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق د. محمد التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
(٢٢٨) مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
(٢٢٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، بإشراف د. عبد الله التركي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
(٢٣٠) المسيح إنسان أم إله؟ لمحمد وجدي مرجان، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت.
(٢٣١) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، لعبد الكريم الخطيب، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ط١، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
(٢٣٢) المسيح والتثليث، د. محمد وصفي، تقديم محمد السمان، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.
(٢٣٣) المسيحية والإسلام والاستشراق، لمحمد فاروق الزين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٢٣٤) المسيحية الرابعة، لرؤوف شلبي، مكتبة الأزهر، مصر، ط١، ١٩٨٠م.
(٢٣٥) المسيحية في العالم العربي، للحسن بن طلال، طبعة المعهد الملكي للدراسات الدينية،

مكتبة عمان، الأردن، ط١، ١٩٩٥م.
(٢٣٦) مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
(٢٣٧) المصلح مارتن لوثر (حياته وتعاليمه)، بحث تاريخي عقائدي لاهوتي، د. القس حنا جرجس الخضري، دار الثقافة، القاهرة، ودار الجيل، القاهرة، ١٩٧٧م.
(٢٣٨) مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق عامر الأعظمي، الدار السلفية، الهند، د.ت.
(٢٣٩) مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
(٢٤٠) المطالب العالية، لابن حجر، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
(٢٤١) المطلع على أبواب المقنع، للبعلي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٥هـ.
(٢٤٢) معالم تاريخ الإنسانية، هـ.ج. ويلز، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، طبعة القاهرة، ١٩٦٧م.
(٢٤٣) المعتقدات الدينية لدى الغرب، عبد الراضي محمد عبد المحسن، طبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
(٢٤٤) معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
(٢٤٥) المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
(٢٤٦) المعجم الصغير، للطبراني، تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ودار النصر للطباعة، مصر، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
(٢٤٧) المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة سعيد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
(٢٤٨) المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، إشراف وزارة الأوقاف العراقية.
(٢٤٩) معجم المؤلفين، لكحالة، تحقيق مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
(٢٥٠) معرفة الصحابة، لأبي نعيم، تحقيق محمد إسماعيل وسعد السعدني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
(٢٥١) المعرفة والتاريخ، للفسوي، تحقيق د. أكرم العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ.
(٢٥٢) المعمودية بين المفهوم والممارسة، للقس مكرم نجيب، دار الثقافة، القاهرة، مطبعة دار نوبار، ١٩٧٧م.
(٢٥٣) المغازي، للواقدي، تحقيق د. مارسدون جونس، مطابع عالم الكتب، بيروت، د.ت.
(٢٥٤) المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق نور الدين عتر، دار المعارف، سوريا، ومطبعة البلاغة، ط١، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
(٢٥٥) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي، تحقيق مجموعة محققين، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
(٢٥٦) مقارنة الأديان (اليهودية والمسيحية)، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط٧، ١٩٨٣م.
(٢٥٧) مقالات الإسلاميين، للأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.
(٢٥٨) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، عناية بسام الجابي، دار الجابي والجفان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
(٢٥٩) الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق عبد العزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت،

د.ت.
(٢٦٠) المنتخب الجليل من التخجيل، للمالكي، مراجعة رمضان البدري ومصطفى الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
(٢٦١) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، للشيخ ابن معمر، تحقيق د. محمد السكاكر، طبع بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ.
(٢٦٢) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود، مصورة عنها، مكتبة المعارف، الرباط، ط٢، ١٤١٩هـ.
(٢٦٣) موانع إنفاذ الوعيد (دراسة لأسباب سقوط العذاب في الآخرة)، د. عيسى السعدي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٦هـ.
(٢٦٤) الموسوعة العربية المسيحية (الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها)، دنتسغر هوزمان، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية في لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
(٢٦٥) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، محمل من الإنترنت.
(٢٦٦) موطأ الإمام مالك، تحقيق بشار عواد معروف ومحمود خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
(٢٦٧) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط ١، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.
(٢٦٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، د.ت.
(٢٦٩) النصرانية (نشأتها التاريخية وأصول عقائدها)، د. عرفان عبد الحميد، دار عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
(٢٧٠) النصيحة الإيمانية في فضح الملة النصرانية، لنصر بن يحيى المتطيب، تحقيق د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
(٢٧١) نظرة في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية، د. محمد توفيق صدقي، مطبعة المنار، القاهرة، ١٣٣١هـ، ط١.
(٢٧٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.
(٢٧٣) نهاية الأرب، للنويري، تحقيق علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
(٢٧٤) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.
(٢٧٥) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب، للمقدسي، تحقيق عبد الرحمن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
(٢٧٦) نونية ابن القيم بشرح ابن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
(٢٧٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، توزيع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، د.ت.
(٢٧٨) هدية العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
(٢٧٩) الوافي بالوفيات، للصفدي، اعتناء هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينر، ط٢، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م.
(٢٨٠) وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
(٢٨١) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، لرؤوف شلبي، دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
(٢٨٢) يسوع المسيح، للأب بولس إلياس، محمل من الإنترنت.
(٢٨٣) اليهودية والمسيحية، د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

(٢٨٤) يوحنا المعمدان، لعبد الرزاق نوفل، مطابع دار السعادة، القاهرة، ط٣، د.ت.
بالإضافة إلى بعض المواقع والمنتديات.

* * *